روايات عبير

R
WWW.REWITY.COM

قَسَمٌ منتصف الليل

www.rewity.com/vb
منتدى روايتي

Léo AUDRENN

N° 640

روايات عبير

R
WWW.REWITY.COM

إن الدور الأول الذي تقوم به
لورانس في فيلم كبير يعد بمثابة الإشارة الأولية
لمصيرها الذي كانت تنتظره منذ وقت طويل... هل
ستكسب الرهان الذي خسرته في الجولة الأولى أمام الممثل
"أليكس" ذلك الشاب الوسيم عندما كانت في السادسة عشرة من
عمرها؟ من قصر أجدادها إلى سحر "مراكش" تغير الديكور، لكن
بقيت عواطفها سليمة كما كانت في أول يوم.
بعد أن تخطت تجربة الزمن، هل يمكنها التغلب على
العقبة الوحيدة: ألا وهي النسيان؟

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة

ISBN 9953-443-52-3

WWW.REWITY.COM

شخصيات الرواية

"لورانس" : فتاة صغيرة، وابنة أحد الأثرياء.

" أليكس أوبري" : ممثل مشهور، وزير نساء.

الكونتيسة "دي كايلر" : والدة "لورانس".

"فيليب ميلشيور" : المخرج الذي يعمل مع "أليكس".

www.rewity.com/vb
سنو وايت

الغلاف الأمامي

ارتأت "لورانس" أنه من الأحسن أن تصمت الآن ولا تقول ما أضافه "فيليب ميلشيور". في "المغرب" يجب أن تتم أول جلسة لتصوير الفيلم، وفي خلال شهر بالتحديد.

لما كانت تعلم أنه ليس مجديا أن تصطدم ابنتها فإن السيدة "دي كايلر" سعت إلى خلق جو من المرح.

الفصل الأول

ألقت "لورانس" نظرة شاردة على رفيقاتها وهي تضع المجلة التي تفحصتها حتى حفظتها عن ظهر قلب. كانت رفيقاتها يبلغ عددهن عشرا على الأقل، وكلهن جميلات على الرغم من اختلافهن... كان البعض يثرثرن بصوت منخفض ويضحكات مجنونة. استدارت إحداهن وتفحصت نفسها في مرآة قريبة.

كتمت "لورانس" تعجلها وأرجعت إلى الوراء- بحركة نشيطة من رأسها- شعرها النحاسي الطويل. كلما كان الوقت يمر شعرت بعدم الارتياح. تحركت على كرسيها وتملكتها فجأة رغبة في الهرب، لكنها تراجعت. كانت موجودة في هذا المكان منذ فترة طويلة. سينادونها عن قريب!

من وقت لآخر كان الباب الرئيسي يفتح. انقطعت الحوارات في الحال واعتدل الجميع وانتبهن. لكن في كل مرة كان هذا مجرد إنذار خطأ: أناس يغدون ويروحون دون أن يعطوا أدنى اهتمام بالمجموعة التي ملت. رفعت "لورانس" عينيها نحو البندول الكبير المعلق على الحائط. الحادية عشرة إنها جالسة على هذا المقعد غير المريح منذ ساعتين، ساعتين مملتين!

مالت جارتها نحوها فجأة وسألتها:

- أهذه المرة الأولى؟

تفرست "لورانس" بدهشة في الوجه الفاتح ذي العينين الزرقاوين لمحدثتها ورأت عليه قلقا مماثلا لقلقها وقالت:

- نعم، وأنت؟

- أنا أيضا.

أطلقت الاثنتان حينذاك نفس التنهيدة وهذا ما أضحكهما. مع هذه الضجة المستهجنة، التفتت الأخريات نحوهما. عقدت "لورانس" ساقيها حتى بدا الحذاء ذو الرقبة طويلا، واستندت إلى ظهر الكرسي،

www.rewity.com/vb

وأغمضت عينيها.

قالت لنفسها من جديد: "ماذا أفعل هنا وسط هؤلاء الفتيات وما الذي يجعلني أنتظر بسلبية وكأنني في قطيع؟". تذكرت مجرى الأحداث.. الإعلان الصغير الواضح في أسفل الصفحة بالجريدة منذ أسبوع الذي جذب انتباهها: من أجل إخراج فيلمه القادم يبحث "فيليب ميلشيور" عن فتاة ذات سحنة رومانسية ومبتدئة... خذ موعدا مع الآنسة... إلخ.

قفز قلب "لورانس" في صدرها! إذا كان فقط... كان هذا فقط هو إشارة القدر التي تنتظرها منذ وقت طويل! لكن أتبدو فتاة رومانسية؟ لقد سألت "لورانس" مرآتها كثيرا، وتفحصت نفسها برأفة متناهية. كانت تعلم بالتأكيد أن شعرها الطويل الأسمر يثير إعجاب الجميع. إن هذا هو مصدر افتخارها الوحيد. فيما عدا هذا فإنها ترى نفسها نحيفة جدا وشاحبة إلى حد ما. إنها لم تشعر حقيقة بالسحر الذي ينبعث من شخصيتها الرشيقة، واستمرت في الاندهاش من الإعجاب الذي تثيره لدى الجنس الآخر الصورة التي تبعثها المرآة... نعم... تتوافق مع ذلك مع الفكرة المكونة عن الفتاة الرومانسية.

دون أن تفكر كثيرا أسرعت "لورانس" إلى التليفون وتم استدعاؤها لإجراء مشهد تجربة. لقد ردت على أمها القلقة كالعادة فيما بعد.

– لكنها لعبة يا ماما.. مجرد لعبة. كفّي دواما عن أن تجلبي الهم لنفسك!

كان لابد– مع ذلك– أن تخفي "لورانس" عينيها أمام هذه النظرة الواضحة التي فهمت مغزاها. كانت تعلم جيدا أن هذا ليس حقيقيا. إنه شيء آخر غير اللعب. هناك شيء بها أو غريزة مسيطرة جعلتها تتخذ قرارها.

إن صوت الباب الذي انفتح مرة ثانية جعلها ترتجف. من على عتبة الباب نادى شاب اسما. نهضت الفتاة التي كانت تحدثها بسرعة، وانغلق الباب وراءها. بمجرد أن اختفت ارتفعت الهمهمات بين

الأخريات. أظهر البعض منهن ارتياحهن لفكرة أن هذا الانتظار الذي لا ينتهي ستظهر نهايته عن قريب. ولكن البعض الآخر أظهرن أيضا قلقهن وعصبيتهن.

كانت "لورانس" الوحيدة الصامتة، سيطر هدوء غريب ومعه لامبالاة. كل الفتيات اللائي يحطن بها كانت صفات الإعلان تتوافق معهن. من منهن ستتغلب عليها؟ تنهدت. بعد كل هذا ألا يكفيها أن تتصدر صورها من وقت لآخر مجلات الموضة؟ إنها تتلقى أجرا طيبا عنها وهذا ما يتيح لها مواصلة دراستها لفن الزخرفة بدون أية مشاكل.

كيف يفسر أيضا هذا التوتر الذي تشعر به منذ عدة أيام؟ إن أغلبية الفتيات يحلمن– بالتأكيد– بالعمل في السينما. لكن الأمر مختلف بالنسبة لـ"لورانس"؛ إن تصورها الخيالي عن نفسها ذات طبيعة أخرى؛ إن أمها لم تنخدع به.

– وإذا تم اختيارك؟ أتدركين ما ستعملينه؟

– لكنني يا ماما لن أكون فيه بمفردي.

هزت الكونتيسة "دي كايلر" رأسها وواصلت حديثها بعناد:

– يا عزيزتي، إنني أسعى فقط إلى حمايتك؛ إنك ضعيفة...

توترت "لورانس". كانت تكره أن تعاملها أمها– كما اعتادت أن تفعل– كطفلة صغيرة، كما كانت ترفض– بداخلها– أن ترى المرأة التي أصبحت عليها "لورانس". أجابت الأخيرة وعيناها مليئتان بالتحدي:

– لم أعد طفلة.. يبدو أنك لم تدركي هذا! إنني قادرة تماما على إدارة حياتي!

استدارت أمها حينذاك، وهي تهمس، وكأنها تحدث نفسها:

– أدعو الله ألا تحرقي جناحيك في هذه الأضواء الخادعة...

لم تستطع الأم أن تحدد فكرتها كثيرا ولكن "لورانس" فهمت ما تلمح به. انطرحت فجأة بينهما صورة لرجل ذي ابتسامة جذابة.

لما كانت مستغرقة في أفكارها ارتعدت "لورانس" حينما سمعت صوتا يهمس في أذنها:

– تشجعي!

لقد عادت الفتاة التي كانت قد حدثتها وتأهبت لمغادرة المكان. لكن أمام نظرة "لورانس" الاستفهامية ابتسمت ابتسامة غامضة وألقت تحية الوداع دون أن تضيف أي كلمة.

تم النداء بأسماء الفتيات اللاتي يقين واحدة بعد الأخرى. أحست "لورانس" عدة مرات بالرغبة في الهروب، لكن في كل مرة كانت غريزة غريبة تأمرها بالبقاء. لم يعد هناك إلا اثنتان حتى سمعت اسمها.

الآنسة "لورانس دي كايلر"... جاء دورك.

عندما دخلت الحجرة والرجل يتقدمها مصطحبا إياها أغمضت عينيها وهي دهشة من الضوء الكثيف الذي يسيطر عليها. كان مصباحان شديدا الإضاءة يضيئان المكان الفسيح الذي تتواجد به؛ مما منعها من تمييز أي شيء.

– نهارك سعيد يا آنسة، اقتربي... لا تخافي... استريحي...

وصل إلى مسامعها صوت رصين من وسط الحجرة. مشت عدة خطوات في هذا الاتجاه، وخرجت من دائرة الضوء، ورأت مجموعة يجلس وسطها رجل، يرتدي بلوفر، وذو قوام مهيب. أشار إليها بأصبعه إشارة ترحاب. إنه "فيليب ميلشيور" بالتأكيد.

دون أن تسنح الفرصة لـ"لورانس" أن تدرك هذا سارت الأمور بسرعة جدا. بينما كانت مصففة الشعر تضع بودرة على وجهها، كان المصور ينقل "الاسبوت" ويتفحصها من كافة الزوايا. أعطاها أحدهم ورقة مكتوبا عليها عدة جمل. قرأت الكلمات التي أفلت معناها منها، وكان لابد أن تقولها أمام الكاميرا في الحال. خفق قلبها بشدة حتى كاد يتوقف، وأمسكت يداها الرطبتان بذراعي الكرسي الذي كانت تجلس عليه.

عندما كانت مستعدة سمعت من جديد صوت "فيليب ميلشيور" يوجه الكلام لها:

– هيا... ستمشين أولا هناك، في كل اتجاه، على أن تكوني طبيعية

للغاية..

ارتأت "لورانس" أنه من السهل قول هذا في هذه اللحظة بالتحديد، حيث كانت تتمنى أن تكون في مكان آخر غير ذلك.

لكن نبرة المخرج كانت رقيقة، وهذا ما أراحها. أخذت نفسا طويلا ونهضت. توجهت نحو المكان المشار إليه. عندما سمعت "ابدأ التصوير" أطاعت بشكل غريزي، وفعلت ما طلب منها دون أن تفكر.

– اقطع!

توقف صوت الكاميرا.

– الآن انظري نحوي! ستقولين نصك كما لو كنت توجهينه إلى أحد تريدين إقناعه حتما. ضعي به كل قوة الإقناع الضرورية... مفهوم؟

هزت "لورانس" رأسها. بدا لها أنها شخصية أخرى. لم تعد تشعر بأي خوف ولا بأي إحساس. كانت تعلم أنه لابد أن تقوم بعمل ما ينتظر منها– قدر استطاعتها– دهشت لأنها سمعت بداخلها هذا النص الذي لا يعني شيئا بالنسبة لها. بمجرد أن نطقت الكلمة الأخيرة لمحت– يا للمعجزة!– إنها لم تتلعثم لحظة واحدة.

كانت تعلم أن التجربة انتهت عندما انطفأ "الاسبوت". اقترب "فيليب ميلشيور" منها وسألها فجأة:

– لماذا تريدين العمل بالسينما؟

شعرت بالحيرة أمام السؤال. كيف تفسر له هذا الاندفاع المفاجئ؟ تفرسا في بعضهما لحظة في صمت. رأت الفضول في العينين السوداوين للمخرج، أحست بالخجل وأغلقت عينيها وقالت بصوت متردد:

– لا أعلم.. ربما ذكرى...

لم يصر المخرج. لقد شعرت بعينيه يغلفانها تماما ثم ابتعدتا عنها وبدأ يتناقش مع طاقمه. ظلت واقفة عدة ثوان في وسط الغرفة ثم لم يعد أي شخص مهتما بها وقررت الانصراف.

– انتظري...

WWW.REWITY.COM

كانت قريبة من الباب. خفق قلبها والتفتت. هل هذه الكلمة توجه إليها؟

– اتركي لنا عنوانك.. سنكتب إليك...

– لقد أعطيته من قبل.

بمجرد أن خرجت إلى الشارع تنفست "لورانس" الصعداء. لقد أشعرها الهواء المنعش لهذا اليوم الربيعي بالارتياح. كان لابد أن تنتظر لحظات قبل أن تستعيد هدوءها.

"سنكتب إليك"... دوت هاتان الكلمتان في أذنيها. قالت في قرارة نفسها: "لا يقول أحد هذا الكلام عندما يريد أن يثبط عزيمة أحد. حسنا، لقد قمت بالتمثيل، ومن المحتمل أن أكون قد ضعت... لا يوجد ما يدعو لعمل مأساة! لكن التمتمة البسيطة التي بدت على شفتيها عكست إحباطها. بعد مرور ساعة، عندما فتحت باب الشقة، أدركت بارتياح أنها خالية. لم تعد أمها بعد. في هذه اللحظة بالذات لم تكن "لورانس" ستتحمل أسئلتها التي كانت ستطرحها عليها.

إن المودة التي يعيشان فيها منذ وفاة الكونت "دي كايلر" كانت كبيرة، لكن "لورانس" كانت تشعر كثيرا بالاختناق والتدليل.

بعد ترملها اضطرت أمها من قبل الظروف لأن تقطن "باريس" بهذه الشقة التي تأويهما. لقد حاولت كل منهما- بشجاعة وعلى طريقتها في ظل الإطار الجديد- التكيف مع حياة المدينة المختلفة عن الحياة التي عاشتاها فترة طويلة.

كم كان يبدو بعيدا على "لورانس" ذلك الوقت السعيد الذي كبرت فيه، في القصر الذي شهد أجدادها بـ"بيريجور" وارتبطت به الذكريات المضيئة!

إن الاختفاء الموحش لأبيها قبل عدة سنوات، ثم بيع منزل الأسرة- الذي أصبحت أعباؤه ثقيلة جدا على أمها- كان بالنسبة لـ"لورانس" مآس لا تريد استرجاعها أبدا. لكن لما كانت تعلم مدى معاناة أمها لذلك فإنها كانت تتجنب بعناية أي تلميح يمكن أن يزيد ألمها.

ومع ذلك لم تستطع "لورانس" – في السر– أن تتحول عن هذه الحياة التي تبدو لها قصيرة. كان كل شيء بداخلها يتمرد. لكن لا دروسها في الرسم، ولا صورها على الغلاف من حين لآخر تكفيان لملء الفراغ الكبير الذي يحسه قلبها.

لكن أملا مجنونا تولد بداخلها عند قراءة هذا الإعلان الصغير. هلا تغير كل شيء كما يحدث بضربة واحدة من العصا السحرية؟ إنها الآن غير متأكدة من ذلك...

ترقبت "لورانس" – في الأيام التالية بفارغ صبر– رنين جرس البواب "خطاب لك"... أصبح هذا هاجسا. لكن في كل مرة يجلب لها ساعي البريد نفس الإحباط.

ذات صباح أيقظها رنين التليفون الملح وهي ترتجف أخرجتها الضربات المتوالية على باب حجرتها من سريرها، سمعت الصوت اللاهث قليلا لأمها:

– "لورانس"... "لورانس"... هناك من يطلبك على التليفون!

لما كانت صامتة من إحساس فضولي ارتدت بسرعة الروب وهرعت إلى الصالون.

– آلو!

كانت الرعدة البسيطة في صوتها تشهد فقط بإحساسها.

– نعم... إنه أنا.

أرهفت السيدة "دي كايلر" السمع من على سريرها.

– أوه! مستحيل!

على الرغم من الدهشة والفرحة أيضا في تعجب "لورانس" فإن أمها عرفت في الحال مقصدها.

لما كانت تعرف السمة المرتابة والمتحفظة لابنتها فإنها قد احترمت صمتها في الأيام السابقة، وانتظرت بلا جدوى اعترافاتها في ظروف أخرى.

وضعت "لورانس" السماعة بعد حوار قصير. ساد الصمت عدة

لحظات. ثم قررت دخول حجرة أمها، وقالت بصوت واضح:

– إنهم اختاروني...

تظاهرت السيدة "دي كايلر" بالدهشة.

– إنهم؟ من هؤلاء؟

اعتدلت السيدة "دي كايلر" على وسادتها وتأملت ابنتها برقة متناهية. كانت "لورانس" – الواقفة بالقرب من السرير والنحيفة مع قميص نومها الأبيض المتدلي حتى قدميها، وشعرها الأسمر المائل إلى الحمرة متناثر على كتفيها– تبدو ضعيفة بشكل مؤثر دائما، لكنها رأت في عينيها الداكنتين وميض نار معلنة العواصف.

تنهدت أمها. لقد خمنت من قبل أنه لن يكون مجديا مناهضة رغبة "لورانس".

استطردت الفتاة بنبرة حيادية:

– إنه "فيليب ميلشيور" الذي اتصل بي بنفسه... إنه يطالبني بالذهاب لتوقيع العقد بأقصى سرعة.

ارتعدت السيدة "دي كايلر".

– مبكرا هكذا؟ لكن دراساتك يا ابنتي...

– أوه! أعلم يا أمي! أولا– تصوير الفيلم لن يستمر إلا عدة أسابيع ثم ستأتي الإجازة...

ارتأت "لورانس" أنه من الأحسن أن تصمت الآن ولا تقول ما أضافه "فيليب ميلشيور": في "المغرب" يجب أن تتم أول جلسة لتصوير الفيلم وفي خلال شهر بالتحديد.

لما كانت تعلم أنه ليس مجديا أن تصطدم ابنتها، فإن السيدة "دي كايلر" سعت إلى خلق جو من المرح:

– ستحكين لي كل هذا. أما الآن فلنذهب لتصنع القهوة.

اتبعت "لورانس" أمها في هدوء إلى المطبخ. في أثناء ما كانت هذه تضع الماء من أجل تسخينه فإن "لورانس" أخرجت قدحين ووضعتهما على المنضدة وقطعت الخبز. عندما جلسا أمام بعضهما تنهدت السيدة

"كايلر" وهي تعطي ابنتها قطعة الخبز.

– لابد أن اعترف لك بأن كل هذا لا يروق لي.

قبضت "لورانس" على فكيها وانتظرت البقية. واصلت السيدة "دي كايلر" بصوت حاولت أن يكون حاسما:

– لست مؤهلة لمواجهة هذا الوسط الاصطناعي، ثم إنها مهنة قاسية جدا.

هزت "لورانس" رأسها وتأملت أمها برصانة:

– أرجوك يا أمي... لا أريد أن أتعبك كما تعلمين. لكن في هذه المرة لن يثبط عزمي أي شيء.

– لم يكن والدك...

قاطعتها "لورانس" بعنف:

– آه، كلا! لم يعد أبي موجودا ليقول ما يريده أو ما لا يريده بالنسبة لي. كنت في السادسة عشرة عندما توفي. أما الآن فإنني رشيدة.

بدا الحزن على عيني السيدة "دي كايلر". صحيح أن سن العشرين تتيح لـ"لورانس" التصرف على حريتها. أمام هذا الاتجاه الذي اتخذته المناقشة قالت الأم بنبرة أكثر رقة:

– ماذا تعلمين عن هذا الفيلم وعن دورك فيه؟

وضعت "لورانس" قطعة الخبز المدهونة بالزبد التي لم تمسسها بعد.

– أعلم عنه المهم، وكل ما أعلمه يكفي لأن أتخذ قراري بشكل نهائي. تعلمين أن "فيليب ميلشيور" ليس أي شخص وربما يكون أفضل مخرج لدينا الآن. فرصة كهذه لا يجب رفضها. ثم...

بدا صوتها مترددا وصمتت فجأة.

– ثم ماذا؟

كانت سحنة "لورانس" شاحبة على غير عادتها. أخذت نفسا قبل أن تقول:

– الدور الرئيسي سيقوم به "اليكس أوبري".

لقد أطلقت هذا الاسم بتنهد، ولكنه كان مثل الرعد على مسامع

السيدة "دي كايلر". لقد تحقق ما كانت تخشاه منذ أن وضعت "لورانس" هذا المشروع في رأسها.

"أليكس أوبري" ... وضعت السيدة "دي كايلر" قدحها على المنضدة بقدر من العنف حتى تناثر قليل من المشروب الساخن. كان غضبها شديدا حتى إنها عجزت عن نطق أي كلمة. لقد اعتقدت أن "لورانس" قد نسيت طوال السنوات الأربع التي قلبت الأحداث فيها حياتهما! وأنها محت إلى الأبد من ذاكرتها هذا الولد الوسيم الأشقر الذي كان قد ظهر في الصيف الحارق والذي طغى فجأة مثل السيل على حياتهما الهادئة تاركا جرحا عميقا في قلب "لورانس". وها هو يظهر من جديد في طريقها...

كما لو كانت قد قرأت أفكار أمها أمسكت "لورانس" بيدها عبر المنضدة وهمست إليها برقة:

– لا تخافي شيئا يا أمي... إنني قوية الآن.

الفصل الثاني

استعادت بوضوح ما قد تم منذ أربع سنوات.

لما كانت مشغولة بمداعبة عنق الحصان "كيم" فإن الدوي البعيد للجرس أوقف حركة "لورانس". ملست– بندم للمرة الأخيرة– على الرداء الناعم للحصان الذي همست في أذنه:

– إنهم يستدعونني من أجل الغداء. كن عاقلا وانتظرني! ساعود بسرعة جدا.

بعد النظرة الأخيرة على حصانها تركت مربط الحصان وتوجهت نحو القصر بخطى بطيئة؛ لأن الحرارة كانت خانقة في الفترة الصباحية من شهر تموز (يوليو).

لم تكن هناك أية إشارة تنبعث من المبنى الضخم المحصن ببرج كبير. توقفت "لورانس" برهة في الفناء. لما تأملت اللون الساخن المزخرف للأحجار القديمة والمنحنى البسيط للأسطح، أدركت "لورانس" أن هذا الديكور المألوف به شيء مدهش. أحست بتقلص في معدتها، كانت تحس به في كل مرة تغمرها فيها السعادة. نعم، الصيف بدأ بفال حسن. ألم تتلق بالفعل هذه الهدية الرائعة– الحصان "كيم"– بمناسبة بلوغها السادسة عشرة من عمرها؟

أحست "لورانس" بنفحة من الامتنان نحو أبويها اللذين تمكنا من إشباع رغبتها العزيزة: امتلاك حصان خاص بها يمكنها معه التجول في أنحاء "بيريجور" التي تعشقها...

لكن في أعلى السلم انفتح الباب وظهر عليه خيال رجل. أسرعت "لورانس" في مشيتها: يبدو أن والدها أظهر فارغ صبره.

– نحن ننتظرك لتناول الغداء يا "لورانس". ماذا تفعلين إذن؟

لم يؤثر الصوت الضخم في الفتاة التي ردت بنبرة بسيطة:

– إنني هنا أعتني بـ"كيم".

قطب الكونت "دي كايلر" حاجبيه وحاول أن يدخل "لورانس" إلى

الصالة. في الحقيقة كان فخورا بابنته التي يجد فيها حبه للطبيعة وللخيول.

قال لها:

– سأصطحبك في نزهة بعد الظهر إذا رغبت. لكن لنذهب الآن إلى المائدة... إنني أكاد أموت من الجوع.

عندما دخلا صالة الطعام كان الجميع متجمعا حول المائدة الأسرية. كان دخولهما مثار تعجب الحاضرين:

– إنهما نفس الاثنين اللذين يتأخران!

– إذا توقفت أنفاس "ماريا" فإنه سيكون خطأكما.

– أسرعا... فـ"ماريا" ليست سعيدة!

كانت "ماريا" – الطاهية العجوز – تقف متسمرة أمام المدفأة الحجرية المحاطة بشعار منحوت على شكل أسلحة آل "كايلر" ويداها في خصرها، كانت تحملق إلى القادمين بعين متظاهرة بالغضب. في الحقيقة كانت سعيدة بالقيام بدور البطولة، لكن هذا لم يمنعها أن تهمس بصوت متواطئ في أذن "لورانس" عندما مرت أمامها:

– توجد فراخ بالطرخون.

غمزت "لورانس" إليها بعينيها ودون أن تتوانى أخذت مكانها بين عمها وابن عمها "جويلوم".

كانت قبة صالة الطعام تحبس الأصوات والضحكات التي كانت تكبر حينما تمتلئ الأكواب وتفرغ الأطباق. في وقت تناول الحلوى كح الكونت "دي كايلر" مرتين أو ثلاث مرات ليستوضح صوته... ويطلب الصمت. اتجهت كل الأنظار نحوه وهي تتساءل. تسمرت "ماريا" في مكانها أيضا ولم تعرف إذا كان يجب أن تستمر في الخدمة أم لا.

– لدي خبر سأعلنكم به...

كتم الجميع أنفاسه. فرك الكونت شاربه ومرت عدة ثوان. كان واضحا أنه استمتع بالفضول الذي أثاره في عيونهم وأخذ وقته ثم قال:

– في خلال أسبوع سيأتي فريق سينما لإخراج فيلم هنا.

ثارت جلبة كبيرة.

– في القصر؟

– ما هذا الفيلم؟

– لماذا لم تقل هذا حتى الآن؟

– كم سيستغرق هذا الفيلم؟

– فيلم حقيقي؟ وممثلون حقيقيون؟

دهشت "ماريا" بشدة وتمتمت قائلة دون أن ينتبه إليها أحد:

– آه... ها هو شيء آخر. ما هذا العمل؟

استأنفت السيدة "دي كايلر" بدورها ولكن بصوت وديع:

– منذ وقت طويل طلبت منا إدارة إنتاج أن تصور فيلما من خلال ديكور طبيعي لقصر بالمنطقة، لكننا ترددنا في إعطاء إذننا..

قالت الجدة – التي لم تنطق بكلمة حتى الآن – وهي تنظر إلى ابنها:

– "شارلز": كيف يمكنك أن تسمح بمثل هذا الشيء؟! هنا...! حتى تفسد الموبيليا... أنا...

أوقفها السعال من جراء غضبها. ارتأى الكونت – الذي أظهر هدوءا كبيرا – أن الوقت مناسب لإعطاء التفسيرات المنتظرة.

– يا أمي، أتفهم غضبك.. مع ذلك تعلمين أن هذا المنزل عبء ثقيل على كتفي. أعتقد – إذن – أن التعويض الذي سأحصل عليه مقابل بعض الضرر المؤقت سيساعدني على مواجهة بعض الأعمال الضرورية والمكلفة.

– لكنني أعتقد أن هذه فكرة طيبة يا أبي!

انطلق صوت "لورانس" الواضح بقوة حتى إن كافة الأنظار اتجهت صوبها. دون أن تزعج نفسها استمرت واتجهت نحو جدتها:

– إنهم ليسوا همجيين. لماذا تريدين أن يحزموا منزل "كايلر"؟ ثم إن هذا سيضفي بعض الحيوية إلى جدراننا القديمة. ليس لدينا أية تسلية هنا.

ردت عليها السيدة العجوز الغاضبة وهي تضرب الأرض بعصاها:

– صغيرة بلهاء! لماذا تتدخلين؟ ليس لديك الحق هنا إلا لتصمتيَ، اللاتي في مثل عمرك...

لمع وميض غضب في عيني "لورانس" التي بذلت مجهودا كبيرا لكي تسيطر على نفسها وإلا تجيب- بقوة- على جدتها التي كان ذقنها يرتعد من الغضب.

إزاء هذا الموقف ارتأى الكونت "دي كايلر" انه من الأحسن أن يهدئ غضب الحاضرين. أشار إلى "ماريا" بمواصلة تقديم الطعام. أطاعت هذه الأخيرة وهي تعض على شفتها لكي تعبر عن استهجانها.. ثم قال بنبرة عادلة:

– إذا تصرف هؤلاء الناس بشكل غير صحيح فإنني سأطردهم. لكنني اتخذت قراري ولا أنوي الرجوع فيه. لنعلم كيف نتصرف كمضيفين رقيقين، وإنني متأكد أن كل شيء سيمر على خير ما يرام.

انتهى الغداء في جلبة مربكة. استغرقت الكونتيسة العجوز في صمت مطبق ورفضت تناول الحلوى. نهضت- أولا- وتوجهت نحو الباب وهي تطرق الأرض بعصاها، وتبعها بقية أفراد الأسرة. ظل الكونت "دي كايلر" بمفرده في مكانه عدة لحظات. لم تتحرك "لورانس" بعد. عندما ترك الجميع صالة الطعام جرت نحو أبيها ووضعت ذراعيها حول عنقه وهمست بصوت ملاطف:

– لا تقلق... ستهدأ جدتي. إنها استبدادية حتى إنها لا تحتمل أن يأخذ أحد قرارات بدون إخبارها. أرى أنك أحسنت صنعا!

ابتسم لها وداعب شعرها دون أن يرد عليها. أخذت "ماريا" ترفع الأطباق بضجة كبيرة وهي تتظاهر بعدم الانتباه إلى المشهد، لكنها كانت مستمعة إلى كل كلمة فيه. ركزت قليلا ثم توارت في المطبخ.

نظرت "لورانس" وأبوها إلى بعضهما ثم انفجرا ضاحكين.

بعد لحظات لحق "جويلوم" بابنة عمه في مراب العربات، حيث توجد عربتان غير مستعملتين منذ فترة طويلة، حتى غطاهما تراب السنين ونسيج العنكبوت. كانت "لورانس" الطفلة تلجأ إلى هذا المكان عندما

تريد الهرب من عالم الكبار. كانت تريد الذهاب إلى هناك من وقت لآخر لكي تقرأ في هدوء وهي ممددة على حزمة القش.

رمش "جويلوم" بعينيه في الظلام الخفيف. إنه لم يميز شيئا بعد الضوء الصارخ بالخارج. نادته "لورانس" حينذاك:

– تعال هنا..

رفع عينيه ورآها وذهب للجلوس إلى جوارها. سألته "لورانس":

– ما رأيك- إذن- في هذا الخبر؟

تفرست فيه بطرف عينها بمكر:

– آه... لا أعلم. جدتي لا تبدو سعيدة...

– هذا أقل ما يمكن قوله! أنا لست من رأيها. إن رؤية الممثلين عن قرب فرصة مدهشة، أليس كذلك!

أومأ "جويلوم" بالإيجاب بدون اقتناع كبير. إن الشخصية الشاذة لـ"لورانس" كانت تحيره غالبا لكنها تغريه على الرغم من ذلك. كان يبدي إعجابا بلا حدود إلى ابنة عمه، التي على الرغم من أنها تصغره بعامين، إلا أنه كان يتبعها في مبادراتها الغريبة جدا، وهذا ما أوصلهما في طفولتهما إلى العقاب الشديد.

استطردت "لورانس" الحالمة:

– السينما.. عالم يبدو بعيدا عن عالمنا...

نظرت إليه فجأة بشدة:

– أتعتقد أنه يمكننا محادثتهم؟

– محادثة من؟

– الممثلين بالطبع.

– اسمعي، لا أعلم ما تتخيلينه. إنهم مثل كل الناس. أليس كذلك؟

– لا أعرف.

كان في صوتها شيء هز "جويلوم". نظر إليها بطرف عينيه. لما كانت مستغرقة في أفكارها لم تعره "لورانس" أي اهتمام.

لقد دهش مرة أخرى من البراءة المدهشة لوجهها التي مازالت تتردد

بين حدود الطفولة والمراهقة. كانت عندما تمشي كانوا يعطونها تسع عشرة أو عشرين سنة. لقد لاحظ "جويلوم" عدة مرات- وبسخط شديد- أن الكثير من الرجال الذين تقابلهم ينظرون إلى مشيتها.

لكن عندما تركز نظراتها مباشرة في الناس فإن كل نظرات وبراءة الطفولة ترتسم في عينيها الداكنتين اللتين تحيطهما الرموش الكثيفة. كان ينبعث منهما سحر غريب مكون من البراءة والإثارة معا.

اقترح "جويلوم" على "لورانس":

- لدي الرغبة في الذهاب إلى المغارة. أتأتين معي؟

المغارة عبارة عن حفرة عميقة في الصخر بجانب التل الذي اكتشفا- بالمصادفة في أثناء نزهة- مدخله المختفي وراء شجرتي العُليق. إنهما لم يحدثا أحدا بشأنه ومنذ ذلك الوقت يذهبان إليه غالبا لكشط الأرض أو استبطان الحجر بحثا عن تذكار تاريخي.

ومع ذلك لم يلق هذا الاقتراح القبول لدى "لورانس" التي تمتمت:

- لا، الجو حار جدا.

رفع "جويلوم" كتفيه ولم يصر. ثم أشعل سيجارة وأخذ نفسا وانصرف.

كانت "ماريا" مشغولة بتقشير الخضراوات على المنضدة الخشبية الكبيرة عندما دخلت "لورانس" المطبخ.

قالت الطاهية العجوز:

- إنك محمرة جدا. أيخطر ببال أحد أن يتنزه مع هذه الحرارة العالية! ستشعرين بالألم.

كانت "لورانس" تسيل الماء في الحوض، وملأت كوبا وشربته، ثم جلست على المقعد واستندت إلى المنضدة، وقالت بنبرة بشوش:

- إنك لم تلعبي الورق معي منذ فترة طويلة.

تذمرت "ماريا" وهي تشير بذقنها إلى الكومة الكبيرة من الفاصوليا الخضراء.

- آه! لدي الوقت لهذا! انظري إلى كل العمل الذي ينبغي لي أن أقوم

به.

- انتظري، سأساعدك... ولكن أتعدينني بأن تلعبي معي الورق؟

- إيه... سنرى.

أخرجت من جيب مريولتها منديلا وجففت به جبهتها. كانت الغرفة رطبة على الرغم من الحرارة الشديدة الموجودة بالخارج. نظرت "لورانس" من حولها. كان صف الأواني النحاسية المنظفة بعناية يلمع في الظلام الخفيف. فيما عدا الثلاجة والموقد اللذين أصبحا موضة قديمة، وبعض الامتيازات الأخرى للرفاهية كان الديكور ثابتا طوال عصور عدة. كانت هذه مملكة "ماريا" وكانت "لورانس" الوحيدة التي تتسامح معها فيها.

لما كانتا متعبتين من مهمتهما ظلتا صامتتين بينما قل مقدار الفاصوليا. بعد لحظة صبرت عليها "ماريا" كثيرا ثم قالت:

- ما حكاية السينما هذه؟ إنها فكرة...

- تعلمين عنها مثلي..

- إنني لا أحب هذا... لن نشعر بأننا في منزلنا مع هؤلاء المهرجين...

قهقهت "لورانس":

- يا لك من مساعدة لجدتي! أنتما الاثنتان لا تحبان أن يزعج أحد عاداتكما... أرى أن هذا سيمتحنا قليلا من التسلية. لن يحدث أي شيء هنا.

عندما انتهتا نهضت "ماريا" ولملمت ما قشرته ووضعته في صندوق القمامة.

- هل نسيت؟ اسحبي لي الكروت لو سمحت.

كانت سمعة "ماريا" كمتنبئة معروفة في البلد، وكان الكثيرون يصدقون تنبؤاتها. كانوا يسخرون منها في القصر بشأن هذا لكن "لورانس" كانت الوحيدة التي تصدقها.

ابتسمت المرأة العجوز وهي تهز رأسها:

- أنت عندما تريدين شيئا...

ولم تكمل جملتها وراحت تفتش في الدولاب حيث عثرت على حزمة من الورق المتهالك من كثرة استخدامه.

– هذا عظيم. ماذا تريدين أن تعرفي؟

ترددت "لورانس":

– قولي لي ما سيحدث لي.

– ليس جيدا أن تعرفي المستقبل.. الأشياء الجميلة مثل السيئة يجب أخذها على ما هي عليه.

توسلت "لورانس" إليها:

– لا يهم. أخبريني فقط...

تنهدت "ماريا" ثم بدأت تفرد الكروت. لن يمكنها أن تقاوم "لورانس" حتى لو كانت تخدعها. عندما بدأت اللعبة سحبت كارتا ثم آخر ثم توقفت.

– وماذا حينذاك؟

– ستقابلين حبا كبيرا!

انفجرت "لورانس" في الضحك وقالت:

– أوه! نعم؟!

– في وقت مبكر على غير ما تتصورين...

وضحت الجدية على وجه "لورانس":

– استمري... أخبريني بالمزيد.

جمعت "ماريا" الكروت وخبطتها ببعض ثم فردتها من جديد. كلما عادت إليها قطبت حاجبيها. بما أنها ظلت صامتة حثتها "لورانس" من جديد:

– ثم ماذا؟

بدا القلق على "ماريا" التي أرادت إفساد الكروت. أوقفتها "لورانس" ووضعت يدها على معصمها.

– ماذا هنا لك؟ أريد أن تخبريني...

– أوه! لا داعي، إنها مجرد أكاذيب.

أصرت "لورانس":

– هذا غير صحيح. ماذا تخفين عليّ؟ أريد أن أعرف.

قالت المرأة العجوز في النهاية على مضض:

– إنني مخطئة بالتأكيد... ما أراه سيئا حقيقة. أترين هذا الديناري هناك؟ إنه شخص قريب، شخص تحبينه... ثم هناك سيدة البستوني... إنه الشر... إنه...

– الموت؟

صاحت "لورانس" بهذه الكلمة وارتسم القلق على وجهها.

هزت "ماريا" رأسها وابتلعت ريقها عدة مرات واستطردت:

– لا يجب تصديق ما تقوله الكروت... كل هذا خرافة.

اضطربت "لورانس" بشدة وتاملتها وكانها لا تصدقها، وهمست بصوت يكاد يكون مسموعا:

– نعم... إنك محقة بالتأكيد.

أتت يد باردة لتطفئ نار قلبها. لم تجرؤ على طرح أسئلة أخرى على "ماريا" التي انشغلت بجمع الورق دون أن تنظر إليها.

دوى صوت من بعيد فجأة:

– "لو... رانس"! "لو... رانس"!

قفزت "لورانس" ونهضت بسرعة:

– إنه والدي الذي يناديني.

ودون أن تنتظر لحظة أخرى أسرعت نحو الباب.

كان الكونت "كايلر" على عتبة الباب عندما لحقت به.

– هل نسيت نزهتنا؟

رأت "لورانس" أنه ارتدى ملابسه وبمسك سوطه تحت ذراعه. ألم يعدها بركوب الحصان معها؟

– لا بالتأكيد. انتظرني! سأكون مستعدة في خلال ثلاث ثوان!

– ماذا بك؟ أراك شاحبة...

– لا شيء، لا شيء على الإطلاق...

www.rewity.com/vb

لم ترد "لورانس" أن تعترف؛ بسبب اضطرابها، وهربت ولم تترك له الوقت لكي يصر.

حينما كانا يركبان حصانيهما جنبا إلى جنب نسيت "لورانس" قلقها العابر عندما امتطت "كيم". نظرت إلى والدها وابتسمت. كان يتمتع بقوة الصخر. لما اطمأنت بوجوده إلى جوارها ضربت برجليها جانبي "كيم" الذي جرى بها مسرعا...

رآها والدها تختفي بعيدا، وتابع بعينيه- بقدر استطاعته- شعرها الذي تجعله أشعة الشمس متلألئا.

الفصل الثالث

للمرة الثالثة يتسلق الرجل على متكأ النافذة. أما في الأسفل فكانت "لورانس" مختفية وراء جذع شجرة الزيزفون وهي تضع يدها على فمها وتحبس أنفاسها. إنها لم تكف عن الإعجاب بهذا الشخص قوي البنية.

بقفزة مدهشة، والهواء ينفخ قبعته، قفز الرجل في الفضاء ووجد نفسه- يا للعجب- هابطا على حصان حمله بسرعة في الحال. "اقطع!" صرخ المخرج هكذا في مكبر صوته. وفي الحال امتلأ فناء القصر بالناس. ذهب وراح الفنيون والممثلون في كل اتجاه مثل النمل المتناثر.

استدارت "لورانس". عاد "اليكس أوبري" على مطيته ببطء ومر بجانبها دون أن يراها. تابعته بعينيها، بينما نزل من على الحصان ومد يده باللجام إلى مساعده بلا اهتمام. جفف نفسه بظهر يده وأرجع رأسه إلى الوراء وتناول زجاجة من الشراب الذي أحضر إليه. ثم استرخى وابتسم وتبادل عدة كلمات مع المخرج.

منذ أن بدأ طاقم السينما عمله كانت "لورانس" تمضي أيامها في التسكع حولهم. كانت تشاهد الديكورات وإخراج المشاهد التي لا تستغرق إلا ثواني. شد انتباهها شخصيتان فقط: "اليكس أوبري" بطل الفيلم، وشريكته الرئيسية الجميلة "مارجريت رينال".

في حقيقة الأمر كانا يمثلان ثنائيا رائعا. تعرفت "لورانس" في الحال على الممثل الذي تأملت صوره في المجلات، لكنها ارتأت أنه أكثر جاذبية في الحقيقة، وخصوصا عندما يبتسم... إن قسماته الرجولية واللمعان الغريب لعينيه الزرقاوين ضيعا حينذاك صلابتهما. إن ملابس الرجل الأنيق التي يرتديها في هذا الفيلم- مع قبعته وسيفه- أضافت مزيدا من القيمة إلى شكله الرومانسي.

حينما كان جالسا على الكرسي الذي كتب على ظهره اسمه بحروف واضحة رأت "مارجريت رينال" تقترب منه وتهمس في أذنه بشيء جعله يضحك. مع بشرتها الكامدة وعينيها السوداوين ورقبتها المثيرة

كانت الممثلة السمراء تمتلك ما يمكن تسميته بالجمال الطاغي.

لما كانت "لورانس" خجولا جدا من هذين الوحشين فإنها لم تجرؤ على الاقتراب منهما. لقد اكتفت بملاحظتهما عن بعد، لكنها لاحظت بعض الحركات وطريقة النظر إلى بعضهما التي كانت تعكس المودة الخالصة. نعم "اليكس" الوسيم مغرم بـ"مارجريت" وكانت "لورانس" لديها من الحدس لأن تعرف أنه شيء آخر غير التمثيل.

أخرجتها اليد التي وضعت على كتفها فجأة من تأملها.

– أوه! "جويلوم"... إنك أخفتني!

– ألم تتعبي من النظر إلى هذا الشخص الذي يجتذب إليه الأنظار وهو على حصانه؟

– أحمق!... على أية حال لا يمكنك أن تفعل مثله!

– هذا ليس بسبب للتبختر بهذا الشكل. انظري إليه...

كانت التكشيرة ظاهرة على "لورانس". إنها لا تعرف إذا كان ما يضايقها كثيرا هي الملاحظة اللاذعة لابن عمها أو شكل "اليكس" وهو يتسكع في الفناء. في الحقيقة التفت الممثلات والممثلون الصامتون حوله حينما كانت مصففة الشعر والمتخصص في الماكياج يجريان بعض اللمسات الأخيرة. أجابته "لورانس":

– أتشعر بالغيرة مصادفة؟

رفع "جويلوم" كتفيه بسخرية:

– من هذا الشخص؟ إنك أضحكتني!

ثارت "لورانس":

– ماذا تعرف أنت عن السحر؟ إنني أراه وسيما جدا!

– مع رؤية غشيانك هذا يمكنني تصديق هذا!

ضايقتها سخرية "جويلوم" والقت عليه نظرة قاتلة:

– كل الناس لا يمكنهم أن يكونوا جذابين أيضا على ما يبدو...

ندمت في الحال على جملتها هذه وحاولت أن تخفف أثرها.

– عفوا... لكن لماذا تضايقني كل الوقت؟

– منذ أسبوع وأنت لابدة هنا. لم تعد هناك وسيلة لإخراجك من تأملك هذا. يبدو أنك فقدت اهتمامك بـ"كيم" أيضا وهذا يعني...

في قرارة نفسها كان لابد أن تعترف "لورانس" بان هذا صحيح. إنها لم تعد ترى أسرتها إلا في أوقات تناول الطعام. ومع القضمة الأخيرة تعود مسرعة إلى مكان التصوير.

في "كايلر" توافق كل واحد قدر استطاعته مع الفوضى الكبيرة التي جلبها تصوير الفيلم. إن الحبال المربوطة في كل مكان، ونقل الأثاث وتعليق الديكورات، وتحريك مصابيح الإضاءة، والروحات والغدوات المستمرة لكثير من الناس الذين لا يعرف من هم ولا ماذا يفعلون بالضبط، كل هذا حول المنزل الجدير بالاحترام إلى فندق كبير تاه فيه سكانه الأصليون مثل الأشباح؛ بحثا عن مكان هادئ.

من الواضح أن الأحداث أعطت الحق إلى الكونتيسة العجوز التي احتمت بغرفتها حيث يحضرون إليها طعامها وفقا لأوامرها. كانت ترفض باستماتة النزول، ولم تقترب أيضا من نافذتها حتى لا ترى هذا النزاع كما كانت تسميه. إن الغرف والمطبخ هي الوحيدة التي لم يدخلها أحد. حاولت بقية الأسرة أن تنظر للأمور من الجانب الطيب: كان الكونت "دي كايلر" و"جويلوم" يختفيان طوال اليوم بأكمله في مكان ما. أما السيدة "دي كايلر" وعمات "لورانس" فكن يساعدن "ماريا" على عمل المربات والعلب المحفوظة، ولا يأخذن راحة إلا للحصول على قدح الشاي في جانب هادئ من الحديقة... كان نادرا ما يجد الجميع قليلا من الهدوء، فيما عدا "لورانس" التي كانت تتابع الأحداث بشغف وتهتم بكل شيء. إن الفنيين– الذين لاحظوها عدة مرات عندما تغلبت على خجلها– كانوا يجيبونها عن أسئلتها بكثير من الرقة.

يبدو الآن أن كل نشاط قد توقف. لم تعد الكاميرات تدوي، وانطفأت الكشافات، وفرغ الفناء رويدا رويدا. اجتمع الفنيون والممثلون حول الأشجار الطويلة. أدركت "لورانس" أنها ساعة تناول الغداء

بالفعل. تعالت صيحات الضحك بينما كانت الأطباق والقوارير تنتقل من يد إلى أخرى. من بعيد كانت "لورانس" تحسد هذه المودة، لكنها لم تكن تجرؤ على الاقتراب منهم.

وفجأة بزغت فكرة في ذهنها... استدارت نحو ابن عمها الصامت الذي ظل إلى جوارها:

– إنهم يحصلون على راحة الآن... هلا ذهبنا لتجربة الأزياء؟

استقبل "جويلوم" هذا الاقتراح بوثبة:

– إنك مجنونة حقا!

– لماذا؟ ماذا سنخسر؟ انظر إليهم وهم يتسللون هناك... إنهم لن يهتموا بنا.

– وإذا أتى أحدهم؟

– أوه! إنهم لن يأكلونا على ما أعرف!

– اذهبي أنت إذا كنت تريدين، ولكن لا تعتمدي علي في اصطحابك. لا أسعى إلى أن أكون مصدرا للسخرية.

– إنك لست مجيبا حقا!

تركت "لورانس" ابن عمها هناك ودلفت إلى الغرفة التي تعرف ما تبحث عنه فيها: كانت هناك العشرات من الصدارات والجونلات والفساتين والمعاطف. داعبت بأصبعها المرايا والقطيفة.

أرهفت "لورانس" السمع: إنها لا تسمع إلا الغناء الأحادي لأزيز الحصاد الذي يصل إلى مسامعها من خلال النافذة المفتوحة. تجاسرت حينذاك. بعد تردد طويل قررت أن تحظى بفستان من نسيج البروكار الأخضر.

بعد عدة لحظات تأملت صورتها، وهي غير مصدقة، في المرآة الموجودة في وسط الحجرة. هل هذه هي حقيقة؟ المخلوقة الضعيفة التي تبدو أنها خارجة من أسطورة "بيروليه"؟ وبحركة أنثوية جدا لملمت شعرها وابتسمت ابتسامة سعادة في المرآة، لكن ينقص شيء من أجل أن تتغير صورتها تماما. إنها ترى نفسها شاحبة جدا. نظرت من حولها

ورأت أدوات الماكياج. مع فرحة الفتاة الصغيرة التي تتنكر رفعت العلبة وتفحصت محتواها... ثم وضعت قليلا من اللون الوردي على وجنتيها وأحمر شفاه على شفتيها والماسكرا على رموشها... مع فرط انشغالها ضاع لديها مفهوم الوقت.

وفجأة أخافها صوت آت من الرواق. بحثت بعينيها عن مخبأ حيث كان يستحيل أن تتراجع. لكن الوقت قد فات. لقد تم اكتشافها.

– عجبا! ماذا تفعلين هنا؟

– أنا.. أنا...

– من هذه؟

– إنها فتاة القصر.

– يا للوقاحة التي تتمتع بها!

من بين المجموعة التي تحيط بها ميزت "لورانس" "مارجريت رينال" التي تفرست فيها بشكل ساخر.

– من سمح لك بارتداء هذا الفستان؟

– آه.. لا أحد اعتقدت...

كانت هناك ضحكات مكتومة وهذا ما أضاف ضيقا إلى ارتباكها. اقتربت "مارجريت رينال" وعنفتها قائلة وهي سعيدة بوجود أناس يسمعونها:

– أتعلمين أنه خاص بي؟

– كلا.. أؤكد لك أن..

دوى صوت رجل في هذه اللحظة بالرواق.

– "مارجريت"! إنك هنا؟ أسرعي، إنهم ينتظرونك.

لما كانت "لورانس" متجمدة في مكانها تعرفت على صوت "أليكس أوبري". دون أن تبعد الممثلة عينيها عن الفتاة أجابت:

– "أليكس"... تعال هنا...

اعتقدت "لورانس" أنه غشي عليها. الجميع يعلم الآن بعدم أمانتها. عندما دخل "أليكس" الحجرة خفضت عينيها وهي تشعر بالخجل.

وبحركة مسرحية استدارت "مارجريت رينال" نحوه وأشارت إلى التعيسة "لورانس" وتعجبت بسخرية:

– انظر إلى هذه الفتاة التي تتزين بريش الطاووس!

قاومت "لورانس" الدموع التي كادت تنساب من عينيها ونظرت بإصرار إلى حذائها. لكن على عكس ما توقعته، وبدلا من أن يسخر منها، قال "اليكس" برقة:

– أرى أنها ساحرة جدا...

اقترب منها ورفع ذقنها بيد ثابتة:

– إنك الآنسة "دي كايلر"، أليس كذلك؟

لما كانت "لورانس" غير قادرة على التفوه، اكتفت بهز رأسها بالتاكيد.

– لا يجب أن تبكي يا آنسة عندما تكونين جميلة أيضا.

ابتلعت "لورانس" نحيبها ونظرت إليه. إن عينيه الزرقاوين والشهيرتين تفحصانها بلا أي أثر للاستهزاء، يمكن القول بأنها كانت تأمل هذه المقابلة في السر! وها هي تتواجد أمامه في مثل هذا الموقف المحرج! توجه إلى "مارجريت" التي حضرت هذا المشهد دون أن تقول شيئا وكانت نظراتها باردة:

– المسكينة الصغيرة خائفة... ليس من اللياقة أن تسخري منها بهذا الشكل.

ردت عليه الممثلة بنبرة ضيق:

– إنها تحتاج إلى درس كبير... لا أحب أن يعبث أحد بحاجاتي. إذا تلف فستاني فلتنتظر الكثير مني!

أخرج "اليكس" الجميع وقبل أن يغلق الباب ليتركها بمفردها قال لـ"لورانس".

– غيري ملابسك بسرعة، لا يجب معاودة هذا... تعلمين أن أدوات عملنا مقدسة. لكن لا تعيري اهتماما للملحوظات التي وجهت إليك... فالممثلون حساسون للغاية!

لم تتركه "لورانس" يكرر كلامه مرة ثانية وخلعت– وبالأحرى أنها انتزعت– ذلك الفستان الملعون الذي جلب لها مثل هذا الذل.

همهمت– وهي تجري– ببعض الكلمات التي كررتها عدة مرات وهي تشعر بالسخط:

– إنه لن يحمل هذه الشريرة إلى الجنة! سأنتقم لنفسي... سأنتقم لنفسي...

الفصل الرابع

لم تقابل "لورانس" أحدا في سباقها الضائع، كان هذا من حسن الحظ؛ لأن غضبها كان شديدا للغاية حيث من الممكن أن تقفز على وجه من كانت ستقابله في طريقها. بمجرد أن أصبحت في حجرتها- ولمزيد من الأمان- أدارت المفتاح في المزلاج. لن يأتي أحد لإزعاجها هكذا فجأة، وارتمت على السرير، وكتمت نحيبها في وسادتها.

هدأت دموعها بعد لحظات لكن همهمة صوتها استمرت وجعلتها تهتز. أوقفتها ضجة بسيطة على الباب: يحاول أحد أن يدير مقبض الباب. حبست "لورانس" أنفاسها وقلبها يخفق بشدة ثم طرق أحد طرقات بسيطة.

سألت "لورانس" بصوت أجش:

- من بالباب؟

- إنه أنا... ماذا تفعلين؟ افتحي لي...

تعرفت "لورانس" على أمها.

- اتركيني يا أمي أرجوك...

كانت الأم مصرة:

- أسمعك تبكين. ماذا هنا لك؟

تأثرت "لورانس" برقة صوتها وقررت أن توارب الباب.

اندهشت السيدة "دي كايلر" عند رؤيتها.

- يا للحالة التي وضعت نفسك بها! ما الذي حدث؟

- ادخلي.

أمام الأسف البادي على وجه أمها لم تكن لدى "لورانس" الشجاعة لأن تبدي مزيدا من المقاومة. أبعدت السيدة "دي كايلر" الملابس المتراكمة على الكرسي وجلست. كانت الحيرة مرسومة على عينيها الرماديتين.

على الرغم من أنها تحبها من كل قلبها فإن ابنتها لم تكف عن أن

تشعرها بالحيرة. إن صبرها نحو "لورانس" كان بلا حدود، إنها لم توبخها قط، لكن الشخصية العاصفة والصامتة التي أخذتها "لورانس" عن أبيها صدمتها أكثر من مرة. كانت تشعر غالبا بأنها لا تفهمها وهذا ما كان يشعرها بالحيرة.

استفهمت مرة أخرى منها بقلق شديد:

- لماذا تبكين؟

- لا يوجد أي شيء يا أمي، أؤكد لك هذا.

- انظري إلى نفسك في المرآة!

نهضت "لورانس" وألقت نظرة على المرآة. إن رؤية وجهها أصابتها بالصدمة: كان هناك أثر أسود تركته الماسكرا على خديها وانتفخت عيناها من البكاء.

قالت متذمرة:

- أوه! إنني بشعة!

أسرعت إلى الحمام وأسالت الماء. حينما كانت تنظف وجهها اقتربت أمها.

- أقسم أنك تنازعت مع "جويلوم".

- أرجوك يا أمي... لم يعد عمرانا أربع سنوات! متى ستكفين عن معاملتنا كأطفال؟ لا، "جويلوم" ليس السبب في هذا. صدقيني.

تنهدت السيدة "دي كايلر". صحيح أنها كانت تجد صعوبة في تقبل التغير الذي أحل بـ"لورانس" - هذه الفتاة النحيفة- منذ فترة بسيطة، والتي يتجاوز خصرها الآن خصرها هي نفسها بعدة سنتيمترات. ربما كانت هذه النحافة الواضحة التي تجعلها قابلة للانجراح في عيني أمها. لكنها دائما لا يمكنها أن تمنع نفسها أمام حزن "لورانس" من إظهار قلقها:

- حتى أفهم. أيمكن أن تخبريني بما حدث؟

استدارت "لورانس" وقالت بغضب:

- لابد أن يطردهم أبي جميعهم!

www.rewity.com/vb

دهشت السيدة "دي كايلر" بدرجة كبيرة:

– عمن تتحدثين إذن؟

– عن كل هؤلاء المهرجين!

كانت الكلمة تكتسي في فمها بالمعنى المحض.

– يظنون أنفسهم في بلد محتل... إنهم يسنون القوانين... أوه! إنني أكرههم! أكرههم!

انكسر صوتها فجأة. اعتقدت السيدة "دي كايلر" أن "لورانس" ستعاود نحيبها. سعت إلى تهدئتها وجذبتها نحوها وداعبت شعرها برقة، وهمست في أذنها:

– يا صغيرتي، ماذا فعلوا بك؟

أحست "لورانس" بدفء أمها مثلما أحست به عندما كانت صغيرة، ورويدا رويدا شعرت بالارتياح.

– إنه بسبب هذه المرأة! من تظن نفسها؟

– أوه! "لورانس"! ما هذا الكلام؟ من تقصدين؟

– "مارجريت رينال"... تعلمين هذه المرأة الوقحة...

قابلت السيدة "دي كايلر" الممثلة عدة مرات لكنها لم تتحدث معها إلا في بعض التفاهات. إنها لم تسع قط إلى التحاور مع هؤلاء الناس الذين يخشونها، وفي نفس الوقت لا ينجذبون إليها طالما يبدو أنهم بعيدون عن عالمها.

– احك لي ما حدث ليتضح الأمر. إنك تحدثينني الآن بالألغاز.

وبيد قوية أرغمت ابنتها على الجلوس على السرير. قررت "لورانس" المنكسرة أن تحكي مغامرتها السيئة. ثم قالت ملخصة:

– ... ولهذا أريد أن يطردهم أبي.

– لكن هذا مستحيل يا عزيزتي! اعترفي بأنك أسأت التصرف. لا يمكن– بناء على توترك– أن تفسدي عملهم.. من ناحية أخرى هذا الولد... هذا الـ"أليكس أوبري"... حاول أن يتدبر الأمور. إن موقفه– وفقا لما حكيته– صحيح تماما.

كشرت "لورانس".

– ربما... لكن هذا لا يمنع أنه يحبها... إنني أتساءل لماذا يحبها. إنها لا تستحقه. إنها شريرة... وقاسية!

– اسمعي، هذا لا يخصك. هذه القصة لا تبدو لي خطيرة جدا. لقد أذللت نفسك. من الأحسن– في رأيي– أن تتركيهم هادئين. علاوة على أنه يجب أن أقول لك إن والدك لا يحب طريقتك في اللف حولهم في كل مكان. إنه يرى– بالنسبة لفتاة في مثل عمرك– أن هناك طرقا أخرى شائقة جدا في تمضية الإجازة. وهذا المسكين "جوبلوم" الذي أهملته تماما! هذا ليس ظريفا جدا.

أجابت "لورانس" بتبرم:

– إنه كبير إلى حد ما ليتدبر أمره بدوني! ثم إنه يضايقني... إنه غيور!

رفعت السيدة "دي كايلر" حاجبيها بدهشة:

– غيور! يغار ممن؟

صممت "لورانس" وقد أحست بالغضب من نفسها لأنها تحدثت بشأن هذا كثيرا دون أن تتذكر بصيرة أمها...

– لم تخبريني بأنك عاشقة؟

آه! ها قد نجحت– بواسطة رعونتها– في استفسار أمها. أدارت "لورانس" رأسها لتخفي الاحمرار البادي على وجهها. حاولت أن تنكر بارتباك:

– كلا... عم تبحثين؟

لم يفت اضطرابها السيدة "دي كايلر" التي اعتقدت أنه من الأحسن أن تخبر ابنتها وقالت لها بصوت مفاجئ مصطبغ بالرصانة:

– ينتابني إحساس بأن الظروف الخاصة التي نعيشها الآن أثرت في تفكيرك. لا أعرف ما الذي جعلك مضطربة إلى هذا الحد؟ لكنني أنصحك بالتفكير في شيء آخر. لا تنسي أبدا أنه يجب أن تتشرفي بالاسم الذي تحملينه...

www.rewity.com

رفعت "لورانس" رأسها وظهر وميض التحدي في نظراتها.

– دائما الكلمات الكبيرة... اسمي. شرفي... ما معنى كل هذا؟

– هذا يعني أنه يجب ألا تخجلي من تصرفاتك بأي حال من الأحوال!

حبست "لورانس" قدر استطاعتها غيظها. لم يكن يضايقها أي شيء سوى مثل هذه المواعظ التي اعتادتها أسرتها، إنها لا ترى أن هذا يجعلها مختلفة عن بقية الناس. لكن من الواضح أن والديها لا يشاركانها في نفس وجهة النظر. ومع ذلك لم تكن مهتمة كثيرا بإطالة هذا الحوار الذي اتخذ طريقا مزلجا وقالت بحمية:

– اهدئي... إنني أتمتع بالفخر الكافي بهذا!

هل كانت تطمئن أمها؟ على أية حال، احتضنتها هذه برقة وانصرفت.

ظلت "لورانس" بمفردها وتمددت على سريرها. سمعت أصوات ضجة تتصاعد من الفناء... فكرت وعيناها مثبتتان على السقف... إنها لم تستطع أن تطرد من مخيلتها صورة "أليكس" عندما كان قريبا منها... إنه وسيم، بلا جدال، وليس مجاملا كما أسماه "جويلوم". أيمكن أن تحب شخصا تعرفه بالكاد؟ كيف تفسر هذا الهجوم العنيف الذي تحس به عند تذكرها الاهتمام الشديد الذي أظهره نحو هذه المخلوقة التي تكرهها؟

قالت في قرارة نفسها: "إنني مجرد صبية نحيفة وكئيبة. كيف يمكن أن يهتم بي مع كل النساء الجميلات اللاتي يلتففن حوله دائما؟

حاولت أن تعقّل نفسها، ولكنها زادت الأمر سوءا؛ بمجرد أن تراه فإنه يتغلب على كل الناس المحيطين به.

سألت نفسها بصوت منخفض: "أهذا ما نسميه صاعقة الحب؟" إنه سؤال تافه: إنها لا تعرف كثيرا عن إجابته. ارتفع صدرها لكي تأخذ تنهيدة كبيرة، أيمكن أن تحب وتعاني بنفس القدر؟

لكي تضع نهاية للحالة العصبية التي تتواجد عليها قررت أن تعثر

على حصانها "كيم". إن ركوبه حتى التعب يمكن أن يعود عليها بالخير.

استقبلها الحصان بالصهيل الفرح لكي يسامحها على إهمالها له في الأوقات الأخيرة... طبعت قبلة خفيفة على ظهره وهمست في أذنه.

– يا عزيزي "كيم"، افتقدتك أنت على الأقل من يحبني، أليس كذلك؟

حرك الحصان رأسه من أعلى إلى أسفل كما لو كان يوافقها، لم تعرف "لورانس" الوقت الذي استغرقته نزهتها المجنونة. لقد قطعا عددا لا بأس به من الكيلو مترات وصعدا- لينزلا بعد ذلك- المنحدرات الحجرية. ارتقت الفتاة الممر الرملي المؤدي إلى القصر. إن المجهود البدني الذي بذلته طرد أفكارها السوداء. بدأت الشمس تختفي في الأفق. انتصبت أذنا "كيم" فجأة. لقد سمع قبلها الصوت الخشن لمحرك. بعد عدة ثوان- بالفعل- كانت تسير أمامها سيارة رياضية. لم يتح الوقت لـ"لورانس" لأن تمسك بلجام "كيم" الذي شب فجأة. توقفت السيارة مع أزيز قوي للفرملة. في لمح البصر تعرفت "لورانس" على "أليكس".

– إنك مجنون لأن تسير بهذه السرعة! كاد حصاني يلقيني على الأرض.

كان قلبها يخفق بشدة، من الخوف أو من الإحساس. إنها لم تعرف بعد... لقد تعرفت على "مارجريت رينال" الجالسة إلى جواره في السيارة المكشوفة.

مال الفنان على الباب:

– عفوا.. لم يمكنني أن أتوقع مقابلة فتاة أمازونية ساحرة! وعلى أية حال، أحسنت! إنك فارسة مدهشة على ما أرى!

لم تترك "لورانس" نفسها إلى المجاملة. وواصلت بنبرة جافة:

– إنك في قصر خاص وليس في...

أمسكت "مارجريت" بذراع "أليكس".

– لا تضيّع وقتك... ألا ترى أن هذه الصغيرة تسعى لاختلاق

قصص. هيا بنا.

ألقت "لورانس" عليها نظرة حادة، وسيطرت على رعشة يديها ونزلت بثبات من على حصانها وأمسكت بلجام "كيم"، واقتربت بهدوء شديد دهشت هي نفسها له، وقالت دون أن تفكر فيما تقوله:

– ما سبب استعجالكما؟ لم تتح لنا الفرصة حتى الآن للتعارف. إنني متأكدة أن والدي سيسعدان بتقديم كأس والتحدث معكما قليلا...

من الواضح أنها قد نجحت في أن تصيب محدثيها بالحيرة، ونظرا إلى بعضهما بدهشة.

– الوقت متأخر ويجب أن...

حاول "اليكس" برعونة أن يجد مهربا، وقاطعته "مارجريت":

– هذا مستحيل، إنهم ينتظروننا!

وابتسمت رغما عنها قبل أن تضيف:

– شكرا... على الرغم من ذلك.

أشفق "اليكس" – بلا شك – على الفتاة التي عكست نظراتها رغما عنها إحباطها، وقال برقة:

– مرة أخرى: من الممتع أن يشاركنا كل من يعمل معنا.. تعالي غدا مع والديك في وقت الراحة وتناول الغداء. سيسعد الفريق كله باستقبالكم.

وافقت "لورانس" بحماس على الفور:

– إنها فكرة طيبة! إذن اتفقنا... إلى اللقاء غدا!

عادت "لورانس" ببطء نحو القصر وهي تتساءل بقلق. مرة أخرى يوقعها اندفاعها في مواقف محرجة. ماذا اقترحت لتوها؟ إنها ليست متأكدة من أن والديها سيسعدان بمبادرتها هذه. إن الأحداث – حقيقة – اتخذت منعطفا لم تتوقعه، ومرة أخرى فقدت إحساسها بالاطمئنان.

إنها مخطئة في تعذيب نفسها، إن والدها لا يعترض عندما تعرض عليه هذه الدعوة المفاجئة بخجل كبير. قال الأب:

– خلاصة الأمر أن هؤلاء الناس موجودون تحت سقفنا... سيكون عيبا من جانبنا أن نرفض".

وفي المقابل بدت السيدة "دي كايلر" متحفظة وهي توجه كلامها لابنتها:

– اعتقدت أنك لا تحبينهم.

أمام الدهشة الغامضة في نظراتهما أجابت "لورانس" بنبرة أرادت أن تبدو مرحة:

– أوه! غيرت رأيي. بعد كل هذا فإنهم يرغبون – بالتأكيد – في أن نتعرف إليهم.

قال "جويلوم" ساخرا:

– بالتأكيد.

بمجرد أن استيقظت "لورانس" في اليوم التالي كانت تشعر بنشاط كبير. يجب حتما أن تبدو جذابة للغاية. وهكذا قضت فترتها الصباحية في التزين. غسلت شعرها بعناية. وترددت الآن ولم تعرف أي تسريحة تختار. أخيرا وبعد أن مشطته كثيرا قررت أن تتركه ينسدل على كتفيها. تفحصت نفسها مرة أخرى في المرآة بدأت بعد ذلك تجرب كل فساتينها حتى يقع اختيارها على واحد منها وهو القطني الوردي.

وضعت نظرتها على الساعة نهاية إلى ترددها. حانت اللحظة الكبرى.

بدا لها أن كل الناس الذين ينظرون إليها يتقدمون نحو الظل. وقفت بمفردها بعيدا وهي تشعر بالخجل. ضمت يديها دون أن تحس بذلك. وفي المقابل بدا الكونت "دي كايلر" مستريحا للغاية. مع بدلته الرياضية المربعة وحذائه الجلدي. كان مثل النبيل الريفي الحقيقي.

رأته "لورانس" يقبل سيجارا عرضه عليه رجل بشوش قدم له على أنه منتج الفيلم وتكلم بحماس مع المخرج. كانت تبحث بعينيها – لكن بلا جدوى – عن "اليكس" و"مارجريت". أين يمكن أن يتواجدا؟ أحست

بفروغ صبرها يتزايد مع مرور الوقت.

أعطاها شخص ما كأسا في يدها حملته فورا إلى شفتيها. لكنها كشرت اشمئزازا -على الفور- لأنها لا تحب الشراب. سعلت بقوة بعد أن تناولت رشفة... حتى استفهم صوت رجل قريب منها:

- ألست على ما يرام؟ أتريدين أن أربت ظهرك؟

أشارت "لورانس" بالنفي إلى الرجل الذي يرتدي قميصا اسكتلنديا والذي كان يحدثها. إنه متخصص الإضاءة الذي تبادلت معه قبل ذلك عدة كلمات. لما كانت غير قادرة على التحدث سعت قبل أي شيء إلى استعادة نفسها.

دوى حينذاك صوت مألوف من ورائها.

- عجبا... ولكن ها هي فتاتنا الأمازونية.

إنه هنا أخيرا! أحست بالخجل حتى منبت شعرها. لما خافت أن يدرك ارتباكها فإنها تجرأت بالكاد على النظر إليه.

قال ضاحكا:

- يبدو أنك لا تحبين الشراب.

بدأت غفلة رقيقة تجتاح "لورانس" التي أحست بخجلها يتخلى عنها، لاسيما أنها تأكدت بارتياح أن "مارجريت رينال" ليست موجودة في الأنحاء. تأكدت بطرف عينها أن والديها في وسط المجموعة البعيدة إلى حد ما لا يلاحظانها. قالت بصوت يفوح نوعا من التحدي:

- إنك بمفردك اليوم؟

ضحك وهو يشير إلى المجموعة التي تتحدث من حولهما:

- بمفردي؟ أهذا رأيك؟

- تعلم جيدا ما أقصده...

ضاقت عينا "أليكس" الذي تفحص "لورانس" بفضول:

- إنك فتاة غريبة...

ثارت "لورانس" ودافعت عن نفسها:

- على ما أعرف، لم أعد فتاة وأنا في السادسة عشرة من عمري! وفقا

للقانون يمكنني أن أتزوج أيضا منذ عام.

كشفت ابتسامة "أليكس" عن أسنانه البيضاء. كان لديه تعبير غريب. اعتقدت "لورانس" أن لديه شيئا لحيوان متوحش.

- عفوا. هذا صحيح، إنك رائعة الجمال.

ورفع بأصبعه خصلة من شعرها:

- ولديك شعر رائع..

كادت "لورانس" تذوب من السعادة تحت تأثير هذه المجاملة. إنها تحس لأول مرة أنه يعتبرها امرأة. هل هذا من أثر عدم الإدراك أو تأثير الشراب؟ دائما ما تعبر الكلمات شفتيها رغما عنها:

- هلا قمنا بعمل رهان؟

رفع حاجبيه والمرح يبدو على وجهه:

- رهان؟ أي نوع من الرهان؟

- إذا أوعدتني بعمل ما سأقوله لك، فإنني أقسم لك إنني سأقص شعري في نفس اللحظة!

هذا الاقتراح السخيف جعله ينفجر في الضحك.

- مجنونة صغيرة... لا تقولي أي شيء.

لكن التصميم- الذي رآه في عيني "لورانس"- حيره كثيرا. من الواضح أنه مع هذه الفتاة لا يمكن التنبؤ بما ستفعله... لما كانت مصممة كررت "لورانس" وهي توضح كل كلمة:

- أقول لك إنني سأقص شعري إذا قبلت رهاني.

تردد "أليكس". من الواضح أنها شربت كثيرا. أجبرته على الرد عليها وهي تنظر إلى عينيه مباشرة.

- وحينذاك؟

بدأ هذا الإصرار غير المعقول يضايقه. لما كان متضايقا من نزوة الطفلة المدللة اضطر إلى أن يتظاهر بقبوله لطلبها حتى يتخلص منها.

- حسنا، مفهوم. أوعدك بكل ما تريدين.

ارتسمت الفرحة على وجه "لورانس":

– صحيح؟ شكرا!

قبل أن تتاح له الفرصة للتصرف ابتعدت وهي تجري. سأل نفسه للحظة عما إذا كانت سترتكب حماقة. ثم رفع كتفيه! إنها مجرد مراهقة مبسوطة قليلا، هذا كل ما في الأمر. لما عزم على عدم التفكير في ذلك كان سينضم إلى المجموعة المحيطة بالكونت "دي كايلر".

– أوه "لورانس"! ماذا فعلت؟

استدارت كل العيون في اتجاه عينيه: اقتربت "لورانس" بخطى بطيئة وهي شاحبة مثل الميتة. كانت غير معروفة: خصلات قصيرة وهائشة تقف أعلى رأسها. أمام هذه المذبحة المثيرة للشفقة ساد الصمت المطبق.

قطع هذا الصمت الصوت الغاضب للكونت "دي كايلر" الذي ارتفع مثل الرعد:

– يا إلهي! هل أصبحت مجنونة؟

اقترب بسرعة من ابنته وارتفعت يده... ثم نزلت ببطء. كانت الفضيحة التي سببها سلوك "لورانس" كبيرة جدا، هذا بالإضافة إلى الصفعة التي تلقتها أمام الحاضرين. قال الأب:

– اذهبي إلى غرفتك. أمنعك من الخروج منها حتى صدور أمر جديد.

لم تتحرك "لورانس" فقد كانت مثل المخدرة. طوال هذا المشهد القصير تركزت عيناها على "اليكس" الذي كان يبدو مضطربا. في إطار الاضطراب الذي تبع هذا الموقف لم يرها أحد وهي تدس ورقة في يده. نظر إليها "اليكس" الدهش، وهي تهرب وتنتحب. لقد نفذت هكذا رهانها العابث! شعر بغضب شديد. كيف استسلم لهذه اللعبة التي ظن أنها بريئة؟ أحس في راحة يده بالورقة المثنية إلى أربعة أجزاء بعد أن واتتها الفرصة لكي تعطيه إياها. لقد تأكد أنه لم يشاهده أحد وقام بثنيها. أخذ لحظات طويلة في فك شفرة الكلمات التي تتراقص أمام عينيه: "طالما نفذت كلامي فها هو ما ستفعله. في منتصف ليل هذا اليوم سأنتظرك في المغارة..." ثم كان هناك رسم ملخص يشير إلى الطريق الذي يجب أن يتبعه، واكتملت هكذا الرسالة.

الفصل الخامس

للمرة العشرين أضاءت "لورانس" مصباح الجيب لتنظر إلى ساعتها: قبل منتصف الليل بخمس دقائق! هناك خمس دقائق أخرى مميتة لابد أن تنتظرها. ارتعدت. كان الليل فاترا. من الأرض التي سخنتها الشمس طوال اليوم تصاعد عطر العشب الجاف الذي اختلط بعطر الصنوبر.

– أوه! يا إلهي! أرجو أن يأتي!

عقد القلق حلقها ما فائدة سلوكي المجنون إذا لم يف "اليكس" بوعده؟ انتزعت بعصبية باقة من العشب القريب من المكان الذي تجلس عليه. ارتجفت عندما سمعت عن قرب حفيفا. لكن لما ركزت عينيها لم تر شيئا إلا البقعة الداكنة للغابة التي يغمرها ضوء القمر. لم تشعر بأنها هادئة.

قالت لتعقل نفسها: "هذه حماقة". قبل أن يدخل الليل كانت قد اتخذت احتياطات كثيرة حتى لا تطقطق أرضية البيت. لقد لعنت باب الدخول الذي لم تستطع منعه من إصدار صوت عندما يلف حول مفصلاته. هذه الضجة كانت ستوقظ المنزل. وقفت ساكنة وتقطعت أنفاسها وأنصتت... لا... عاد الصمت من جديد. أطلقت تنهيدة ارتياح وهربت إلى موعدها السري.

لما كانت مدركة المخاطر التي تتعرض لها فإن "لورانس" كانت تعرف بعد أحداث اليوم أنه إذا اخطأت في هذه المرة فإن والدها لن يكتفي فقط بحبسها في غرفتها بل سيغلق عليها بقفلين. تنهدت. ما الذي يمكن أن تقوله للدفاع عن نفسها؟! أحست كم كان موقفها غير مفهوم للمحيطين بها. لما كانت عاجزة عن إيجاد تفسير لسلوكها فإنها فضلت الالتزام بالصمت الفظ أمام والديها اللذين سعيا إلى سؤالها. لم يجد معها أي شيء، لا توسلات أمها، ولا حدة أبيها.

لأول مرة في حياتها تتسبب في غضب أبيها الذي تضايق من

مقاومتها وقال لها بنبرة باردة:

– ليس مجديا أن تنزلي إلى العشاء... ستبقين في غرفتك حتى تقري بذنبك على هذا السلوك المشين.

بداخل غرفتها كانت "لورانس" تقضم أظافرها من القلق، وكان لديها من الوقت لتتخيل هذا التهديد. كان الوقت متأخرا للرجوع إلى الوراء. لقد وضعت نفسها في موقف ليس منه مخرج إلا أن تكمله حتى النهاية على حسب قرارها.

سمعت ساعة الصالة تعلن الساعة بعد الأخرى. عندما تحينت الوقت المناسب انتعلت حذاءها وأخذت من درج منضدتها مصباح الجيب.

من القصر حتى المغارة كانت المسافة تبلغ كيلو مترين. كان بالنسبة لها طريقا مألوفا يمكنها أن تعبره وهي معصوبة العينين. لما مرت بالقرب من الإصطبل دوى صهيل "كيم"! لقد أحس الحصان بوجودها الصامت... أسرعت "لورانس" الخطى. كان يجب أن تقطع عرض الغابة ثم ترتقي الدرب الصغير الذي يتعرج وسط أشجار الصنوبر الخضراء التي حولها الليل إلى كتل داكنة وتصدر صوتا. على الرغم من ضوء القمر لم تكن تشعر بالطمأنينة، وفي كل مرة تتعثر فيها قدماها بشيء لا تتوانى عن الإحساس بأن قلبها ينبض بشدة.

لقد تذكرت ذلك اليوم الذي اكتشفت فيه مع "جويلوم" هذه المغارة قبل عدة سنوات عندما تابعا أرنبا ظهر أمامهما فجأة. كانت فتحة المغارة متوارية وراء نبات العليق الكثيف. وبعد ذلك عادا مسلحين بفأس لاقتلاع الأشجار الموجودة بالمدخل.

ظهر أمام عيونهما الدهشة، تجويف مسدود بأنقاض يجب كنسها قبل تخليص الرواق الضيق الذي يدخل في أحشاء الصخرة التي اتسع خلفها الإطار الداخلي وتحول إلى مغارة حقيقية.

لم يكن أحد يعرف سرهما، وفي كل صيف كانا يشتركان معا ويذهبان إلى هذا العالم الذي يخصهما هما فقط.

كانت "لورانس" واقفة بالمدخل لتترقب وصول "اليكس". فقط في

الليل كانت ترتجف مع أدنى ضجة. دوى من بعيد نعيق البوم في أذنيها. لأول مرة فكرت في أنها كانت تفضل التواجد بالحرارة المطمئنة في سريرها.

في هذه اللحظة أفزعها صوت الفروع المكسورة. بدون شك! كان هناك ضوء خفيف ينتقل في أسفل. عاود قلبها النبض. همست حينذاك.

– ها هو! أوه! أخيرا!

دون أن تعير اهتماما بفروع الشجر التي تتخبط بساقيها العاريتين هبطت الدرب بسرعة.

لما كانت محمومة بنشاطها تعثرت بحجر. كانت ستسقط لو لم يفتح "اليكس" ذراعيه. دون أن يتاح لها الوقت المناسب لتفهم. تواجدت أمامه لاهثة. لم يستمر عناقهما إلا لحظة: تركها وتراجع خطوة:

– ظننت أنني فقدت طريقي عشر مرات على الأقل! لابد أن أكون مثل الماعز لكي أقوم بمثل هذا الصعود...

على الرغم من أنه كان لاهث النفس فإن صوته بدا لـ"لورانس" مثل المداعبة التي تهدئ كل قلقها دفعةواحدة.

– "اليكس"... أتيت؟ كنت خائفة جدا..

– كدت ألا آتي! أتدركين الموقف الذي وضعتني فيه؟ هذا لا يروق لي على الإطلاق.

تظاهرت "لورانس" بعدم سماع هذا اللوم.

– إنك هنا. هذا الأهم...

لقد استعادت ثقتها بنفسها. أمسكت بيده بجرأة.

– تعال... المغارة أعلى قليلا.

صعدا المنحدر الواعر في صمت وهما يتخذان حذرهما مع كل خطوة. كان تأثير راحة يد "اليكس" على راحة يدها يحرقها كثيرا على الرغم من أنها حرصت ألا تظهر ذلك. شيء ما تحرك فجأة بالقرب

منهما.

سأل "اليكس":

– أسمعت؟

– هذا لا يهم. إنه حيوان بلا شك...

ضحكت "لورانس":

– غريب أن يقال إن أحدا هناك.

– ألا تخافين مع ذلك؟ هذا جنون، كل الحيوانات تتحرك بالليل.

توقفا أمام الفتحة الفاغرة في الصخرة.

– يمكنك الدخول من هنا.

أوضح ضوء مصباح جيبها المدخل، بينما ظل ما بالداخل مظلما. لكن لم يتحرك "اليكس".

– انتظري.

لم يكن هناك أي أثر للرقة في صوته.

– اسمعي جيدا: لا أنوي البقاء فترة طويلة. إنني أتيت... لأنني وعدتك ولأنك دفعت ثمن هذا بحماقة. لكنني أود أن أخبرك بأنني لم أعتد أن يعاملني أحد كلعبة في يده. ربما يمتعك هذا، لكن لا يمتعني أنا.

– انتظر دقيقة... أوه! دقيقة واحدة.

سمعها حينذاك تشعل عود ثقاب. عما قريب تمايل ضوء الشمعة في المغارة ثم أشعلت عودا آخر وآخر. إن ظلها ألقى بنفسه على تعرجات الجدار.

– انتظرتك فترة طويلة! لن تمشي بهذا الشكل وبهذه السرعة. اجلس هناك. ستكون بخير.

أشارت له إلى طبقة من العشب الجاف على الأرض.

تردد عدة ثوان ثم قرر الدخول في المغارة. تنفست "لورانس". لقد حصلت على ما تريده. تفرسا في بعضهما للحظة وشعرت "لورانس" برجفة تسري في كل أوصالها.

– إنك تشعرين بالبرد... ارتدي هذا.

قبل أن يتاح لها الوقت للاعتراض خلع البلوفر الذي يرتديه ووضعه على كتفيها.

قال دون أن ينظر إليها:

– ستشعرين بالحر هكذا.

– شكرا.

تفرست فيه ببعض الضيق. كان متوترا للغاية وبدا هذا على فكه المتوتر وعلى ثنية فمه. وفجأة أحست بالرغبة في البكاء. لم تبد مقابلتهما كما كانت تتمنى. إن محدثها ليس الملاك الرومانسي الوسيم الذي يمكنها التأثير فيه، ولكن رجلا ذا نظرة حادة ولا يميل إلى الرقة كثيرا وسألته بصوت مرتعد:

– أمعك سيجارة؟

فتش في جيبه وأعطاها العلبة. عندما وضعت سيجارة بين شفتيها وقرب شعلة قداحته رأت أن عينيه الزرقاوين تحملقان إليها بدون رقة.

أخذت نفسا مرة ثم مرة أخرى وبدأت تسعل.

– هذا ما يحدث عندما تلعبين دور الفتاة الكبيرة! يجدر بك أن تعودي إلى الألعاب الملائمة لسنك.

أغاظت سخرية صوته "لورانس":

– إنك بشعة! آه! عجبا! إنني أتساءل عن السبب الذي يحثك على المجازفة بنفسك في مثل هذه المغامرة التي أنا متأكد من أنك لم تقدري نتائجها بمخك الصغير، وماذا إذا حكيت كل هذا إلى أبيك؟

– لن تفعل هذا.

اقترب منها وقال:

– وهل أنت فاقدة الوعي أو ماذا؟ إذا وجدك أحد هنا في منتصف الليل فماذا تعتقدين؟ كيف ستسير الأمور؟

– آه... لا أعرف...

– حسنا، سأخبرك! يمكن أن يتهموني بالتغرير بالقاصر لأنه لا يوجد

www.rewity.com/vb

أي شخص عاقل يعتقد أنني سأتواجد هنا في هذه المغارة المهجورة من أجل تبادل الحديث التافه معك.

هزت "لورانس" كتفيها بعدم اكتراث:

– لا يوجد غيري أنا و"جويلوم" ابن عمي نأتي هنا.

قطب "أليكس" حاجبيه:

– وإذا فاجأنا هنا، فهل تعتقدين أنه بالسذاجة لأن يتصور أننا نثرثر فقط هنا؟

– طالما أخبرتك بأنه لا يوجد أي شيء نخشاه... فإنني متأكدة أنه يغط في النوم. في هذه الساعة ماذا تريد أن يفعل هنا؟ ثم إذا كنت خائفا فلماذا أتيت؟

– أخبرتك قبل ذلك: لأنني ملتزم بهذا الوعد الغبي... هذا لا يمنع أنني رجل وأنت طفلة. ستة عشر عاما... أتدركين هذا؟

هزت "لورانس" رأسها:

– لا أفهم أن مسألة العمر هذه مهمة جدا. حتى في سن السادسة عشرة يمكن الإحساس بمشاعر التعقل... علاوة على ذلك فإن الجميع يرون أنني أسبق عمري.

– إنك متهورة للغاية. تصوري ما يمكن أن يحدث إذا كنت هنا مع شخص لا يشعر بنفس شكوكي.

– إنني كبيرة بالقدر الذي يسمح لي بالدفاع عن نفسي.

قرب "أليكس" يده من رأس "لورانس" وأرجعها إلى الوراء. تفرسا في بعضهما لحظات وقال بصوت منخفض:

– لكي تدركي أنك تقولين حماقات فربما يجب أن أعطيك فكرة صغيرة عما يمكن أن يحدث.

أمسكت أصابعه بكتف "لورانس" ودس يده خلف رقبتها. إنها لم ترتعش... حتى شعرت بشفتي "أليكس" توضعان على شفتيها. لم يستمر هذا إلا للحظة. رفع رأسه في الحال كما لو كان لم يستطع أن يتحمل هذا الملمس ودفعها بعنف.

أحست "لورانس" بالدوخة من جراء هذه القبلة ورأته مثل الحيوان المتوحش يدور بالقفص.

قال لها في النهاية:

– حمقاء صغيرة! لا تتشيطني!

– لكنني أحبك يا "أليكس"!

لقد أطلقت الكلمة وكأنها أنين. رد عليها قائلا:

– اصمتي! إنك لا تعرفين ما تقولينه!

انهارت "لورانس" على العشب وأخفت وجهها بيديها وبدأت تنتحب.

جثا "أليكس" بالقرب منها.

– لا يجب أن تبكي. هيا، انظري إلي.

رفعت رأسها وحاولت برعونة أن تجفف دموعها.

– من الطبيعي في مثل عمرك أن تصوري لنفسك مثل هذه الأشياء، لكن المرء لا يقع في حب صورة. إنك لا تعرفينني أو تعرفينني قليلا. الحب شيء آخر!

– أوه! بالتأكيد... إنك تقول هذا لأنني لست جميلة مثل "مارجريت رينال".

اغتم "أليكس" عند سماع هذه الكلمات.

– المسألة ليست هكذا.

– إنها عشيقتك، أليس كذلك؟

بمجرد أن طرحت هذا السؤال شعرت بخجل شديد وخوف مفاجئ من جرأتها واستعدت لصد هجومه العنيف. لفرط دهشتها.

أجابها "أليكس" بنبرة عادية:

– نعم.

أدارت "لورانس" عينيها وهي متضايقة للغاية:

– عفوا ولكن لم يكن يجب أن أسألك.

– على العكس. أعتقد أن الأمور واضحة هكذا.

– إنني متأكدة أنها لا تحبك!

أرخت ابتسامة قسمات "اليكس":

– أترين هذا؟ ما الذي يسمح لك بهذا الاعتقاد؟

اتخذت "لورانس" سحنة مقطبة:

– إنها... إنها شريرة! علاوة على أنني أرى أنها تكرهك!

– ماذا تبغين؟ إذا كنت تلمحين إلى النزاع الصغير الذي وقع بينكما بالأمس فإنه قد أظهر أن كل شيء لديك مغالى فيه قليلا، وأنا مقتنع بهذا.

لم تبد "لورانس" مقتنعة:

– إنني أتساءل عن سبب حبك لها.

ونظرت إلى عينيه مباشرة:

– تجدني قبيحة، أليس كذلك؟ هذا كل ما في الأمر! وخصوصا مع هذا الشعر...

كانت لديها من جديد الرغبة في البكاء.

– هذا ليس له علاقة. اطمئني، فأنا أراك جذابة للغاية. وربما جذابة بشكل مدهش. ولهذا أستحلفك بأن تكوني حذرة. لا تلقي المراة بنفسها هكذا على الرجال.

داعب شعرها وقال:

– لماذا ارتكبت مثل هذه الحماقة؟

استنشقت "لورانس":

– لابد أن أثبت لك أن هذا الرهان مهم جدا بالنسبة لي. لكن فيم يفيد هذا الآن؟ إنني خائفة... و...

بدأت دموعها تسيل من جديد.

– لا... على أية حال مصفف الشعر الجيد سيتدبر هذا. هذا غير خطير.

اعتدل ومد يده ليساعدها على النهوض مرة ثانية.

– هيا، الوقت متأخر. الآن يجب أن تعودي لتنامي بحكمة. وأنا

أيضا. غدا سيبدأ التصوير مبكرا ولابد أن أكون في كامل لياقتي.

هكذا انتهى كل شيء. إنهما سيفترقان. لم تحتمل "لورانس" فكرة أن يتركا بعضهما بهذا الشكل.

– "اليكس"... قبلني!

كان صوتها متوسلا.

أجابها برقة في هذه المرة وهو يتنهد:

– لا يا "لورانس". لا يجب هذا. إنك ما تزالين زهرة خضراء صغيرة، امنحي نفسك الوقت لكي تنضجي قليلا، وأنا متأكد أنك لن تتأخري في مقابلة الحب الحقيقي. لكن الوقت لا يزال مبكرا... مبكرا جدا.

– هذا غير صحيح!

قالت وهي تكاد تصيح:

– أعلم أنني لم أشعر بشيء أقوى مما أشعر به في ذلك الوقت.

– صه! اهدئي!

– لن يفهم أحد أي شيء!

أصبح وجه "لورانس" – على الضوء الراقص للنيران – شاحبا جدا.

– إنك مخطئ في أن تعتبرني صغيرة جدا. أقسم لك أنه سيأتي يوم ما وستغير رأيك وتحبني بقدر ما أحبك. يمكنني إنه أقسم لك على هذا! أتمنى لك فقط ألا تعاني بالقدر الذي أعانيه اليوم.

كان هناك شيء في نبرة "لورانس" أكثر من كلامها أزعج "اليكس". نظر إليها كما لو كان قد اكتشفها. صحيح أنها مؤثرة جدا بقسماتها الطفولية. لكن رموشها القصيرة وغير المنسقة لا يمكن أن تجعلها بشعة. إنها تشكل فقط مظهرها الخشن قليلا.

شعر برغبة مفاجئة في احتضانها. ابتلع ريقه بصعوبة ووضع يديه في جيبه.

لما كانت غير مدركة للأثر الذي أحدثته أدارت "لورانس" له ظهرها ونفخت في شموعها واحدة بعد الأخرى مع الإحساس بفقدان أي سبب للحياة و"اليكس" في نفس الوقت. في هذه اللحظة بالتحديد لم

تعرف إذا كانت تحبه أم تكرهه.

عندما خرجا من المغارة اقترح عليها:

– لن تعودي بمفردك. سأصطحبك.

اعترضت بكبرياء.

– لا تتعب نفسك... لا أخشى شيئا.

لما وصلا إلى أسفل التل وقفا ساكنين. تردد "اليكس" لقد تضايق لأنه سيتركها ترحل هكذا وهي تحمل معها هذا الحزن الذي تحاول إخفاءه بشجاعة. إنها من اتخذت قرار الرحيل دون أي كلمة واكتفت بإشارة غامضة من يدها.

تابعها "اليكس" بعينيه حتى ذاب الجسد النحيل في ظلمة الليل: يا لها من فتاة عجيبة! لا يمكن للمرء معها أن يشعر بالاستقرار..." عاد إلى سيارته ولم يستطع أن يخفي الانطباع الغريب بأنه مسحور منذ عدة دقائق. يا لهذا الصدى الذي لم يكف عن الموت! وهذا القسم الغريب– الذي نطقت به أمامه– يدوي في أذنيه.

الفصل السادس

كانت الشمس ساطعة في السماء عندما استيقظت "لورانس". على الرغم من أن النوافذ مغلقة فإن الغرفة كانت غارقة في الضوء. لقد كانت نائمة نوما عميقا وهي ترى أحلاما غريبة.

كان المنزل صامتا. كانت تسأل نفسها حينما يسيل الماء في الحوض إذا كان أبوها قد قام بنزهته الصباحية على الحصان. لما رفعت عينيها في المرآة كتمت أنينا. كيف أمكنها إجراء مثل هذه المذبحة؟ ويا لنتيجتها مع رجل وقعت في حبه وهو لا يحبها!

بعد أن فرغت من زينتها جلست أمام التسريحة وبدأت تسرح شعرها بقوة حتى تسللت الدموع إلى عينيها. بعد كل هذا ربما يكون "اليكس" محقا: إذا استطاع المصفف تقويم شعرها المقصوص فإنها لن تكون بشعة.

تأملت نفسها: شعرها القصير يبدي الشكل الملفوف لرقبتها ذات الجلد الأبيض، لكنها هكذا تشبه الشاب، وهذا ما جعلها تشعر بالحزن. لا، حقيقة إنها لا تمتلك أي شيء من المرأة المثيرة، ولكنها تبدو مراهقة ذات سحر لا يزال غير مؤكد.

زاد حزنها بناء على ذلك. متى يمتنعون عن النظر إليها كطفلة؟

ارتدت بنطلونها الجينز وتي شيرت أبيض وأحست أنها ستموت من الجوع. إنها لم تأكل شيئا منذ ما يقرب من أربع وعشرين ساعة. لا داعي للدهشة– إذن– في مثل هذه الظروف من أن تشعر بالضعف ورأسها ثقيل.

عندما دخلت المطبخ كانت "ماريا" واقفة أمام الحوض:

– صباح الخير يا "ماريا". هل القهوة لا تزال ساخنة؟

استدارت المرأة وتأملت "لورانس" بدهشة:

– آه، هذا مدهش حقا!

شعرت "لورانس" بالقلق.

– آه، نعم. ألن تبدئي في أن تقدمي إلي نصيحة؟

– ماذا قلت؟

لم تجب "لورانس". وضعت على المائدة طبقا وبدأت تقطع الخبز. بينما أحضرت "ماريا" إبريق القهوة وكوب الحليب استفهمت "لورانس":

– هل أبي غير موجود؟

– سيدي الكونت استيقظ مبكرا. نزل وتناول فطوره بسرعة. بدا متعكر المزاج. إنه لم يقل لي شيئا أو حدثني.

ابتلعت "لورانس" رشفة من السائل المغلي بنهم كما لو كانت تأمل أن تطرد الحرارة المعقولة البرد الذي يجمد قلبها. أخذت قطعة خبز وقضمتها.

أدارت "ماريا" لها ظهرها وهي تغسل الأطباق. سمعتها "لورانس" تهمس:

– يهيأ لي أن الجو عاصف...

هل كانت تلمح إلى الجو المتوتر المسيطر على القصر أو إلى اختناق الجو؟ أبعدت "لورانس" قدرها وقالت:

– إنك محقة... الجو خانق. المطر سيلقى الترحاب الآن.

ظهر "جويلوم" حينذاك بعتبة الباب وألقى نظرة ثاقبة على "لورانس" ولكن توجه إلى "ماريا":

– إنني ذاهب إلى القرية، أتحتاجين شيئا؟

– آه، نعم. انتظر.

وأحضرت سلة كبيرة من السومر.

– ستمر على الجزار لإحضار مستلزماتنا. نحتاج إلى خبز أيضا وزيت. أعتقد أن هذا كل شيء.

– حسنا سيصلك على الفور.

تابعت "لورانس" حوارهما دون أن تشارك فيه. أحست أنها مستبعدة لاسيما أن "جويلوم" آثر أن يتجاهلها. في اللحظة التي كان

سينصرف فيها هذا الأخير قاطعته مستفهمة:

– أيمكنني الذهاب معك؟

أجابها بفتور:

– إذا كنت ترغبين...

انطلقت العربة القديمة، حينما كانت تسير في الممر رأت "لورانس" "اليكس" آتيا نحوهما وهو يركب حصانه ويرتدي طقما أسمر. إنه لم يعد الولد المسترخي بليلة البارحة وهو مرتد بنطلونا من نسيج الكتان وقميصا مفتوحا ولكنه يبدو مثل الرجل النبيل الخارج لتوه من لوحة بعصر النهضة. لقد استعادت الحياة مجراها، وكل واحد قد استعاد دوره. يا للجنون الذي تملكها لكي تعتقد أنه يمكنها أن تجتاز الحواجز وخصوصا إذا كانت غير مرئية... تلاقت نظرات الاثنين وأوقف "اليكس" حصانه وفتح فمه كما لو أراد أن يقول شيئا ما. لكن في هذه اللحظة بالتحديد أسرع "جويلوم" بالسيارة.

ألقت "لورانس" نظرة حزينة على ابن عمها ولم تقل شيئا. لماذا قررت أن تذهب معه؟ كان يبدو في حالة سيئة. إنها لن تتبادل معه الأفكار. لما قررت أن تقطع هي أولا حاجز الصمت استندت إلى مسند السيارة وحملقت إلى الطريق.

– أين قضيت الليلة الماضية؟

لكي يغطي على صوت المحرك المنطلق بسرعة كان لابد أن يصرخ "جويلوم" بصوت عال ليسمعها. ارتجفت "لورانس". قالت لها غريزتها: "انتبهي! خطر". حاولت أن تبقى هادئة الأعصاب.

– يا للسؤال! كنت نائمة في غرفتي في هدوء.

– هذا غير صحيح!

اعتدلت "لورانس" في مكانها وقالت:

– حسنا! أين كنت حسبما ترى؟

– إنك تعلمين هذا جيدا...

انزعجت "لورانس" بشدة وأحست بالقلق يجتاحها. كيف تحول ابن

www.rewity.com/vb

العم هذا- في قليل من الوقت وقد كان رفيقا ودودا- إلى هذا الشخص العدواني؟

بعد لحظات من التفكير كانت قد قررت أن تلقي بنفسها في الماء:

- لماذا تبدو غامضا؟ أهذا استفهام أم ماذا؟

أجبرت الدجاجة- التي عبرت الطريق فجأة "جويلوم"- على القرملة فجأة وهذا ما صرفه عن الرد.

بالإضافة إلى أنهما اقتربا من منازل القرية الأولى. بعد أن ركن السيارة في ميدان الكنيسة استعد "جويلوم" للنزول.

قطعت "لورانس" حركته بأن أمسكت بذراعه.

- أريد أن أعرف ماذا لديك؟... لديك شيء ما برأسك أحب أن أعرف سببه!

ضايقها "جويلوم" ببرود:

- لا أرى داعيا لأن أبدو ودودا مع مستهترة!

نزلت الإهانة كالصاعقة على "لورانس" وشعرت بخجل شديد.

- كيف تجرأ على قول هذا؟

- عندما يتصرف المرء كما تصرفت في ليلة البارحة مع شخص في ضعف عمرك ويسخر منك فإنه لا يستحق اسما آخر!

لم تنطق "لورانس" المتعبة بأية كلمة. ظلت متسمرة على مقعدها ونظرت إلى ابن عمها وهو يبتعد. ضغطت على صدغيها بيديها حيث كان دمها يتدفق بشدة.. اكتشف هروبها بالليل إذن... لما كانت غير قادرة على البقاء في مكانها مرة أخرى خرجت من العربة. دارت الأفكار برأسها. كان لابد بأي ثمن أن تأخذ توضيحا من "جويلوم".

رأته يرجع بعد لحظة بدت لها عمرا مديدا. لما وضع مستلزماته خلف السيارة ألقى عليها نظرة جانبية.

- ماذا تفعلين هناك؟ اصعدي! إننا سنمشي.

- لا يا "جويلوم". يلزم أولا أن نتكلم. لنتمش على شاطئ النهر.

تردد "جويلوم" لأول مرة في الفترة الصباحية، كان قناع البرود

مرتسما على وجهه... ورفع كتفيه:

- كما تريدين...

سار أمامها على الطريق المؤدي إلى الضفة. لكي يتجنب الفروع المنخفضة للصفصاف الذي يعوق مروره كان لابد أن يحني قامته عدة مرات.

فيما عدا الصياد الذي كان يتقدمهما في الماء بعشرة أمتار كانا بمفردهما على الشاطئ الصغير. جلست "لورانس" على نفس الأرض. جلست القرفصاء وحملقت إلى التيار المائي المليء بالدوامات في هذا المكان. مال "جويلوم" ليمسك حجرا، وبحركة نشيطة ومحددة أطلقه. نط الحجر عدة مرات على سطح الماء قبل أن يغوص.

- "جويلوم"...

لم يرد عليها.

- أوه! توقف... واسمعني.

- لا داعي لأن تتعبي نفسك. أعلم كل شيء.

- ما الذي تعلمه بالضبط؟

استند إلى جذع الشجرة وأرجع خصلة شعره السوداء إلى الوراء.

- إنك تحبين "أليكس أوبري".

كان هذا سؤالا أكثر منه تأكيدا. ارتجفت "لورانس". لم تكن تتوقع أن يدخل "جويلوم" في الحوار بطريقة مباشرة أيضا. ارتأت أن هذا الوقت لم يعد مناسبا للتأجيل. من الأحسن أن تحاول ضم ابن عمها إلى معسكرها بدلا من الاستمرار في معاملته كعدو.

أجابته ببساطة:

- نعم.

أبدى "جويلوم" الدهشة بدوره:

- أهكذا تعترفين؟

- غير معقول! أهذا ارتكاب لأسوأ الجرائم؟ أتريد أن تخبرني بما هو مكروه؟

www.rewity.com/vb

– المكروه هو طريقتك في التصرف.

ردت عليه بعنف:

– بأي حق نصبت نفسك قاضيا؟ لست أبي أو أمي.

– ربما. لكني أستاء لرؤيتك تتصرفين هكذا أمام الناس مثلما حدث أمس. وأعرف أنك أعطيت موعدا في منتصف الليل وخشيت أن... أن يغتصبك. وأنتما بمفردكما.

– هكذا كنت تتجسس علينا... لا يوجد ما يدعو لأن تفتخر به!

اضطرب "جويلوم":

– لم أنم. خيل لي أنني سمعت صوتا في المدخل. استيقظت ورأيتك على السلم وأنت تخرجين.

– وتبعتني؟

لم يجبها. من الواضح أنه لم يكن يشعر بارتياح. تابعت "لورانس" بمرارة:

– لا أرى سببا حقيقيا لأن تعلق مثل هذه الأهمية على كل هذا... إنك تثير ضجة كبيرة من أجل لا شيء. أظن أنك ستندهش إذا قلت لك إنه لم يحدث شيء.

ابتلع "جويلوم" ريقه:

– كانت فرصة لأن ينقض هذا الشخص عليك.

– كف– إذن– عن مناداته بـ"هذا الشخص"! إنه يظهر على الأقل مزيدا من الرقة عنك.

انكسر صوتها. فهم "جويلوم" – عندما شاهد الوجه المضطرب لـ"لورانس" – أنه شط بعيدا. أحس بالارتياك وقال متلعثما:

– أنا... أنا اعتقد أنني تصرفت جيدا... يبدو لي أنك عرضت نفسك للخطر.

ضحكت "لورانس" ضحكة مريرة:

– أتخشى أن أغتصب؟ وبالنظر إلى ذلك فإنه هو الذي لن يقوم بالإغراء...

– "لورانس"...

– "لورانس"؟! لابد أنك سعيد، أليس كذلك؟ إن شرف الأسرة لم يشبه شيء.

– الأمر ليس هكذا، وتعلمين هذا جيدا.

ضرب بقدمه حجرا صغيرا بشكل غاضب حتى أوصله إلى حافة الماء. كانت "لورانس" عصبية جدا حتى إنها لاحظت الاحمرار الذي كسا خدي ابن عمها. ومع ذلك تملكها قلق مفاجئ ورفعت عينيها نحوه بقلق:

– آمل أن تكون قد احتفظت لنفسك بما عرفته!

– طبعا! من تظنينني؟ لقد صدمت والديك بما يكفي...

– أوه! قص الشعر ليست مأساة! عندما أرى الجميع حتى "ماريا" فإنني أظن نفسي مصابة بالطاعون...

– أقري أنك أخطأت.

تخلت "لورانس" عن متابعة النقاش على هذه الأرض. كيف تفهم أسرتها أنها تختنق في طوق التقاليد الذي تحاول منذ طفولتها أن تربطها به؟ لا يوجد أي تفسير آخر لسلوكها المجنون... لكن منذ ليلة البارحة كانت تحس أنها بعيدة جدا عن كل أقاربها. ولأول مرة في حياتها لم يبد رأيهم مهما لها.

يبدو أن هناك زوبعة تلوح في الأفق. قالت متذمرة وهي تنهض:

– لنعد...

عند رؤية أبيها لدى صعودها السلم أحست بتهديد وشيك.

– "لورانس"، لابد أن أحدثك. اتركنا يا "جويلوم" بمفردنا.

اتبعت والدها إلى المكتبة التي أغلق بابها بعناية. ثم أخذ وقته في حشو البايب. نظرت "لورانس" بقلق إلى وجهه. كان هناك غضب واضح عليه. على الرغم من أنه كان يتصنع البرود فإن "لورانس" كانت تحس بوضوح أنه يحاول السيطرة على عصبيته المزعجة.

بعد أن نفث الدخان عدة مرات، قال:

– كنت أعتقد أن القدر وفر علي الخجل من ابنتي ذات يوم.

أغلقت "لورانس" عينيها: ها نحن وصلنا إليه.

دوى صوت أبيها مثل الرعد ذاكرا ما حدث من ابنته ليلة الأمس. قالت:

– لست سعيدة بأنني أثرت الفضيحة الساخرة التي تحدثت عنها الآن!

قبضت "لورانس" المندهشة على يديها المبللتين. تراجعت لتستند إلى ظهر الكرسي الجلدي الكبير. أيمكن أن يكون "جويلوم" دنيئا لكي يخدعها على الرغم من إنكاره؟

– لكن يا أبي...

إنها لم تقل بابا لأنها تحس غريزيا أن اللغة الرسمية للموقف تمنعها من استخدام هذه الكلمة الطفولية.

– اصمتي! لدي الدليل أنك لم تكوني بغرفتك في جزء من الليل؟

لا تزيدي– إذن– موقفك سوءا بأن تكذبي. والآن أريد أن أعرف: أين ومع من كنت؟

شحبت "لورانس". هكذا لم يقل "جويلوم" شيئا. حاولت أن تقاوم نظرات أبيها لكنها التزمت الصمت.

– قلت لك إنه من الأحسن بالنسبة لك أن تجيبي.

تشابكت الأفكار في عقل "لورانس" المجنون. لتعترف بأنها جُرت نفسها إلى مصيبة لم تكن تعرف نتائجها. لا، من الأحسن أن تصمت، أو على الأقل لن يقع العقاب إلا عليها. مرت عدة ثوان كانت ثقيلة جدا عليها. استطرد الكونت "دي كايلر":

– يفضل أن تعترفي بما حدث.

إنها لم تعد تعرف أباها الودود في ذلك الشخص الذي شوه الغضب وجهه. على الرغم من خوفها فإنها قالت بصوت واضح:

– لا يمكنني قول أي شيء...

– حسنا! اخترت العصيان إذن.

لم يكد ينتهي من جملته حتى اقترب منها بسرعة وصفعها بقوة.

احمر وجه "لورانس" وكتمت "لورانس" تأوها. صاحت بغضب مفاجئ:

– يمكنك أن تقتلني في مكاني! لن تعرف شيئا! أبدا. وسقطت على الكرسي.

أخذ الكونت "دي كايلر" نفسا عميقا وحاول أن يسيطر على الرعشة العصبية التي يشعر بها من قدميه حتى رأسه، وقال غاضبا:

– اسمعيني جيدا. قبل أن تختفي من أمامي لابد أن أخبرك بقراري الذي لا رجعة فيه: ستدخلين مدرسة داخلية حالما أعثر عليها. لم أعد أحتمل وجودك هنا دقيقة واحدة تحت سقف بيتي...

لما كان عاجزا عن نطق كلمة أخرى استدار عنها. رأته "لورانس" يستند إلى مكتبه ويغمض عينيه كما لو كان يشعر بألم شديد. ثم تغلب على ضعفه العابر واجتاز الغرفة وأغلق وراءه الباب بعنف حتى إن الارتطام هز اللوحات المعلقة على الجدارن.

كانت "لورانس" قابعة على كرسيها ولا تبكي. كانت محطمة تماما بهذا المشهد وأحست أنها وقعت في حفرة كبيرة.

استمعت– بلا مبالاة– إلى قطرات المطر الأولى الساقطة على الزجاج رفعت عينيها نحو النافذة بنوع ما من الغريزة. هل سمعت الطرقات؟ رأت على الطرف الآخر من النافذة الشعر المبتل. كان "أليكس" يحاول جذب انتباهها. أسرعت لتفتح لكن الخشب قاوم وبكل قوتها تمكنت أخيرا من فتح النافذة. اجتاز تيار عنيف من الهواء الحجرة، تطايرت الأوراق الموضوعة على المكتب.

– لقد رأيتك من النافذة.

استدارت "لورانس" لكي تتأكد أنه لم يدخل أحد الغرفة.

– "أليكس"... هذا بشع!... حدث لي شيء بشع!

قرأ الرجل في عيني "لورانس" الحمراء شيئا خطيرا. لقد حدد المطر– الذي يسقط الآن بغزارة– صداره الأسود:

– اذهب إلى المرآب... هناك.

أشارت "لورانس" إليه بأصبعها وهمست بصوت سريع:

– سألحق بك هناك.

بعد عدة لحظات حكت له "لورانس" عن مشهد المأساة الذي حدث بينها وبين أبيها. صمت "أليكس" المرتبك حيث لم يكن يتوقع هذه التبعات.

كان الظلام شبه كامل في المرآب وكانت الأمطار بالخارج شديدة. قالت "لورانس" شاكية:

– هذا ظلم.

تفرس فيها "أليكس" بقلق. بدت له ضعيفة للغاية، مع شكلها البائس، وأمسكها بيده وأحاط كتفيها بذراعيه بهدوء. دون أن تتاح لهما فرصة التعرف على ما حدث لهما، تلاقت شفاهما بنهم شديد.

إنه لم يدفعها في هذه المرة. لكن بعد أن فرغا من القبلة الطويلة، قال لها:

– "لورانس"... هذا جنون تام.

ضمت نفسها إليه وهي تهمس:

– الآن، الأمر عندي سواء!

أمسك بمعصمها ليجبرها على الانفصال عنه.

– لا تقولي حماقات. يبدو لي أننا فعلنا ما يكفي من هذا.

– لن أذهب أبدا إلى المدرسة الداخلية... أبدا!

– يجب التحدث إلى أبيك.

– إنه ساخط جدا.

– أنا من سأذهب للعثور عليه.

– أوه، كلا! إنه قادر على... على كل شيء!

استطرد بابتسامة خفيفة:

– إنه لن يقتلني أيضا! لاسيما أنه يمكنني توضيح أنه لا يوجد ما يدعو لإثارة مشكلة.

تراجعت "لورانس" كما لو كانت قد مست حطبا مشتعلا.

– إذا علم أنني كنت معك الليلة الماضية فإن غضبه سيتزايد. إنه لن يصدق أبدا أن...

– إنه لم يحدث شيء؟ لكنها الحقيقة، أليست كذلك؟

– لكن الآن... الأمر مختلف الآن...

– لا يا "لورانس"... كان لا يجب أن أستسلم لاندفاعي الآن... إنك شابة صغيرة... ومتحمسة. لقد أخطأت، عفوا...

ظهر تعبير ألم على وجه الفتاة الشابة.

– ليس طيبا ما فعلته... أنا... أنا أكرهك!

دون أن يتمكن من عمل أي شيء لمنعها كانت "لورانس" قد هرعت إلى الخارج. كانت غير مبالية بالمطر وجرت مسرعة من أمامه حتى لم تعد قادرة على خطو خطوة أخرى. ابتعدت العاصفة. بعد عدوها غير المحدد عثرت في الغابة على ملاذ لها: رائحة الدُّبال المبلل ترتفع من على الأرض. لقد توقف المطر أخيرا. جلست على حجر كبير أسفل شجرة وظلت ساكنة فترة طويلة، وكانت نظراتها هائمة واستغرقت في أفكارها السوداء. لقد فقدت أي مفهوم عن الوقت.

عندما عزمت أخيرا على العودة إلى القصر لدى رؤيتها أن كل النوافذ مضاءة أحست أنه حدث شيء وقح.

عندما اقتربت من مدخل القصر لمحت "ماريا" التي كانت تقوم بحركات ذات مغزى وصاحت:

– آه! هأنت أخيرا... تعالي بسرعة!

انقبض قلب "لورانس" عندما تأكدت أن وجهها غارق بالدموع.

سألتها "لورانس" بقلق:

– يا إلهي، ما الذي حدث؟

قالت "ماريا" بصوت منكسر وهي تضمها بين ذراعيها:

– إنه أبوك يا صغيرتي. إنه متوعك الصحة الآن واصطحبته الكونتيسة إلى المستشفى.

– "لورانس".

خلف "ماريا" كان "أليكس" الشاحب جدا يظهر من ورائها.

*****

في صباح اليوم التالي ودون أن يستعيد الكونت "دي كايلر" وعيه مات في المستشفى... كانت كنيسة القرية التي أقيمت فيها المراسم صغيرة جدا على أن تضم كل المحتشدين لوداع رب هذه الأسرة المحترمة.

حكى "أليكس" – بصوت منكسر من الانفعال – لـ "لورانس" ظروف المأساة. بعد هروبها كان قد اتخذ قراره بمقابلة الكونت "دي كايلر" لمحاولة إثنائه عن قراره لأن عقوبته على الفتاة بدت له ثقيلة جدا.

بدأت المناقشة هادئة وسرعان ما تحولت إلى عكس ما كان يتمنى.

رفض الكونت أن يعترف بحقيقة الأحداث كما حكاها له "أليكس" وكان غير قادر على تحمل فكرة أن تحب ابنته مهرجا، كما قال:

– إنك تمثل أدوار... توجد قوانين تمنع الإساءة إلى أشخاص أنذال....

هذا بالضبط ما أثار غضب "أليكس". لقد تصاعدت النبرة لدرجة أن صوتيهما وصلا إلى القصر بأكمله.

قال الكونت مهددا:

– مادام الأمر هكذا فإنني سأطردك أنت والآخرين الذين أستضيفهم... لن تبقوا بـ "كايلر" يوما آخر!

لم يكن لديه الوقت لتكملة جملته. رأى "أليكس" أن لونه يتغير بينما حمل يده إلى حلقه كما لو كان يختنق. لقد شوهت تكشيرة الألم وجهه ثم سقط من طوله على الأرض.

الفصل السابع

مررت "لورانس" رأسها عبر فتحة الباب:

– عمت مساء يا أمي العزيزة. ربما أعود متأخرة وستكونين نائمة حينذاك. إلى اللقاء غدا.

كانت السيدة "دي كايلر" تشاهد التلفاز وهي جالسة على الأريكة وتضع غطاء على ساقيها. كانت بالنسبة لها عادة حديثة لأنها عندما كانت تعيش بـ "كايلر" كان زوجها يحترس دائما من الاختراعات الحديثة ولم يوافق على شرائها.

– انتظري! أريني نفسك على الأقل حتى أعجب بك.

دفعت "لورانس" الباب تماما وتقدمت إلى الغرفة. بالنسبة لهذا العشاء الذي تراه مهما جدا كانت قد استخدمت كل وسائل دولابها. وضعت معصميها على جنبيها واستدارت حول نفسها برشاقة عارضة الأزياء المعتادة على التحرك أمام الناس. لقد علمتها صور الموضة التي تتخذ لها التحرك بلباقة ورشاقة.

– إنك رائعة الجمال.

كانت رائعة حقا مع طقم الموسلين الذي جعلها تبدو في أبهى زينتها. كانت "لورانس" تضع ماكياجا خفيفا على وجنتيها وشفتيها فقط. كان جمالها يكفي دون أن تضيف إليه أي شيء إضافي.

فكرت السيدة "دي كايلر" أكثر من مرة في التغيير الذي حول في خلال عدة سنوات المراهقة الشرسة إلى فتاة شابة تسلب عقول الرجال.

مالت "لورانس" على أمها وطبعت قبلة خفيفة على شعرها.

– ألا يضايقك أن أتركك بمفردك في هذا المساء؟

– كلا يا عزيزتي، بالإضافة إلى أنني سأنام مبكرا. أما أنت فلا تعودي متأخرة جدا.

– أعدك بهذا.

وبحركة رشيقة كانت "لورانس" على عتبة الباب.

ظلت الكونتيسة "دي كايلر" بمفردها وتنهدت. في الأيام الحزينة التالية لموت زوجها أبدت شجاعة كبيرة. وبطبيعة الحال ارتبطت بالمهام التي كانت واجبة على زوجها. كانت "لورانس" تفاجئها من حين لآخر حينما كانت تظن نفسها بمفردها. كانت لحظات الوحدة هذه التي تعكس حزنها واضطرابها نادرة، لكنها تشعر "لورانس" بالقلق.

كانت الفتاة تعانيها هي الأخرى حيث كانت تعتبر نفسها مسؤولة عن موت أبيها. إن الظروف المأساوية التي تحيط بها كانت بمثابة ندم مستمر. لقد توقف بالتأكيد التصوير وتم تلقي خبر الرحيل السريع لطاقم التصوير بارتياح شديد من قبل القصر. لم تعد "لورانس" ترى "اليكس" ولقد تعمدت تجنب مقابلته في لحظة الوداع.

ثم ماتت ذات يوم جدتها التي تدهورت صحتها منذ وفاة الكونت "دي كايلر". ظلت "لورانس" وأمها بمفردهما في القصر الكبير بصحبة الوفية "ماريا". لم تعد جدران القصر تبعث بصدى للضحكات السعيدة. بعد عدة أشهر تحدثت السيدة "دي كايلر" مع ابنتها:

– يجب الآن ان نفكر في المستقبل يا عزيزتي، إنك كبيرة بالقدر الكافي الذي يمكنني به التطرق إلى مشكلة خطيرة معك. لم يعد متبقيا مما نعيش منه إلا ما يكفي عدة أشهر فقط. إن هذا القصر فقط هو ما نمتلكه وقد أصبح عبئا ثقيلا علي. لم تعد لدينا الموارد لمواجهة كل هذه المصاريف مثلما كان يحدث في الماضي. أما فيما يخصك فقد حان الوقت لان تمضي فترة شبابك في مكان آخر بدلا من أن تبقي مسجونة معي بين هذه الجدران التعيسة. لقد قررت بيع قصر "كايلر" والإقامة معك بـ"باريس". يمكنك هناك متابعة دراساتك ومقابلة الناس.

– تبيعين قصر "كايلر"! لكنك لا تفكرين في ذلك بجدية؟

– بلى، للأسف! لا يمكننا التصرف بشكل آخر.

كان هذا بالنسبة لـ"لورانس" حزنا عميقا لاسيما أنه لابد أن تنفصل عن "كيم" وأيضا عن المسكينة "ماريا" التي لا تتصور أن تترك البلد الذي عاشت فيه دائما.

أحست "لورانس" طوال عدة شهور بأنها تعاني جرحا داميا. كثير من الأمور الجديدة تؤلمها وتجرحها. ومع ذلك اعتادت الحياة رويدا رويدا. لقد استعادت طبيعتها المتحمسة وبسبب قوة إرادتها حاولت أن تنسى.

وها هي صفحة جديدة من حياتها تنفتح أمامها ولم يسجل عليها أي شيء. إنها من ستقرر مصيرها بيدها وما يكتب عليها.

*****

قبل أن تفعل أي شيء لتفتحه انفتح باب المطعم الزجاجي. انحنى البواب الذي يرتدي زيا رسميا أمامها. حاولت "لورانس" أن تتخذ سحنة عادية. كانت في الحقيقة تشعر بالخجل الشديد حيث أعطاها "فيليب ميلشيور" موعدا في إحدى المؤسسات المعروفة جدا بالعاصمة، في أحد تلك المنازل التي لا يدخلها إلا المشاهير ورجال الأعمال المهمون والنساء. إن دخولها بمفردها في مثل هذا المكان يتطلب منها مجهودا رائعا.

تخلت عن معطفها في حجرة الثياب ودخلت الصالة بوجه مشرق. استدارت الوجوه نحوها. كانت عاجزة عن تمييز واحد منهم. اقتادوها إلى المائدة حيث تعرفت– من أجل أن ترتاح– على المخرج الذي وقف لكي يستقبلها. دون أن تعرف السبب أحست بالارتياح لوجود هذا العملاق الحليم الذي يبتسم لها:

– آمل ألا أكون قد تأخرت كثيرا عليك.

– لم أعترض قط على امرأة جميلة إلا أمام الكاميرا! مادمت تعرفين ذلك فإنني متصلب. يبدو أيضا أنني مشهور بأنني استبدادي حقيقي.

القت "لورانس" نظرة مختصرة. تراقص وميض ساخر في حدقتي عينيه. تساءلت إذا كان يمزح أو لا.

دون أن تعرف السبب كانت منزعجة تماما من هذه النظرة الثاقبة التي تبدو كأنها تغوص في أفكارها الخاصة.

– لماذا تبدين عصبية؟ هل أخيفك بالمصادفة؟

– مطلقا! لم تقل هذا!

بدا الرجل يضحك.

– ينتابني هذا الإحساس. عندما رأيتك قادمة كنت تبدين مثل صغير الماعز الذي يتوقع التهامه من قبل الذئب الشرير...

ابتسمت بدورها لكي تخفي ارتباكها. هذا الشيطان الإنساني يتمتع بحدة بصيرة مخيفة. لحسن الحظ أن رئيس خدم الفندق خلق جوا ممتعا عند تقديم قائمة الطعام لهما.

استغرقت "لورانس" في تاملها. إنها لا تعرف ماذا تختار وسط تنوع الأطباق التي لم تثر لذة الطعم لديها أدنى شهية.

لما رأى أن ترددها طال اقترح المخرج عليها:

– ما رأيك في اثنتي عشرة محارة في البداية؟

بادرت "لورانس" بالموافقة:

– أتفضلين بعد ذلك اللحم أو السمك؟

حقيقة الأمر أن هذا سواء عندها. لكن بما أنه يجب أن تقرر بنفسها فقد قالت بالمصادفة:

– سأتناول سمك الترسة المشوي.

دون رئيس الخدم طلبهما وانصرف.

بدأت "لورانس" تشعر بالارتياح وهي تجلس بارتياح على الوسائد الناعمة. كانت الموائد مضاءة بالشموع الملونة التي جعلت الفضة والكريستالات براقة. كان يوجد في الوسط فرقة موسيقية تعزف. بدأت "لورانس" تتخذ هيئة المرأة التي اعتادت ارتياد هذا المكان. كانت تتحرق شوقا لمعرفة أفكاره. كان من المستحيل أن تفسر نظرات المخرج المركزة عليها بشدة، قال هذا الأخير فجأة:

– إنني أتساءل عن سبب رغبتك في العمل بالسينما...

وضعت "لورانس" المتضايقة كأسها:

– وفيم يدهشك هذا؟

– لا أعلم... إنك لا تشبهين الفتيات اللواتي يتقدمن عادة لمثل هذه

التجربة.

لما كانت "لورانس" لا تعرف إذا كان هذا مديحا أو نقدا أنزلت عينيها. استطرد المخرج:

– تعلمين أنها مهنة قاسية جدا.

– وماذا في ذلك؟ هل أعطيك انطباعا بأنني لست على المستوى المطلوب؟

– لم أقل هذا...

– هذا غريب، أتذكر عندما أخرجت البروفة طرحت علي هذا السؤال: ما الذي يبدو لك غريبا؟

فكر عدة ثوان:

– افهميني جيدا: قيادة الممثلين تتطلب منهم أن يعطوا أفضل ما لديهم. ولهذا يجب أن أعرف ما بداخلهم وأدرك تحفيزاتهم العميقة. فمثلا أحس أن لديك سرا يحيرني.

توقف لينقض على طبق المحار الذي وضع أمامه. قلدته "لورانس" مع تظاهرها بالاهتمام بطبقها فقط. ألقت عليه نظرة خفية. كان مستغرقا وهو يمضغ ويبدي لذة واضحة.

في الواقع لم تكن تعيسة أنه طرح على نفسه أسئلة بشأنها. أليست هذه طريقة ليوضح لها اهتمامه؟

كان الدور عليها لأن تقطع حاجز الصمت:

– هل عملت مسبقا مع "أليكس أوبري"؟

– نعم، منذ فترة طويلة. في ذلك الوقت الذي كان فيه مبتدئا في المهنة.

– ألم تعد تراه منذ ذلك الحين؟

– بلى، من وقت لآخر. لدينا علاقات طيبة مع بعضنا. إنه ولد معجون بالموهبة التي ليست إلا عيبا في نظري...

ابتلع رشفة من شرابه. خفق قلب "لورانس" بسرعة. كانت تخشى أن يتحول الحوار إلى شيء آخر، لكنه واصل حديثه:

– إنه يحب كثيرا النساء الجميلات! هذا سيؤثر فيه ذات يوم.

دفع طبقه وأخرج علبة السجائر التي قدمها إلى "لورانس".

– لا، شكرا. لا أدخن.

أخذ سيجارة ووضعها بين شفتيه ثم قرب قداحته منها. تابعت "لورانس" حركاته محاولة أن تخفي فروغ صبرها. كانت تتحرق شوقا لمعرفة المزيد عن هذا. "فيليب ميلشيور" الذي أرجع كرسيه إلى الخلف ارتكن عليه بارتياح. أخذ نفسا من سيجارته.

في هذه اللحظة اقترب عازف الكمان منها وكانت لا تعيره أي اهتمام. قال لها بصوت مبهج وابتسامة مشرقة:

– يا آنسة، أتريدين أن أعزف لك شيئا خاصا؟

لم تعرف "لورانس" الخجول بماذا تجيبه.

قال العازف بصوت حاسم:

– إذن... رقصة بلدي!

انخفض ضوء النجف وغاصت الصالة في الظلام حتى كانت الشموع فقط هي التي تضيء كل مائدة. اقترب الخدم بشكل غير محسوس وانتظروا في الظلام. سكت كل الزبائن بشكل غريزي. بعد هجمة سريعة توقفت الأوركسترا في وسط الصالة واستمر العازف الروسي يعزف بمفرده.

كان تارة يغمض عينيه وتارة أخرى يرمق بعينيه "لورانس".

مال "فيليب ميلشيور" على المائدة وهمس في أذنها:

– أتحبين الموسيقى البوهيمية؟

أيدت "لورانس" بحركة من رأسها كلامه.

– إذن سأصطحبك ذات يوم إلى البوهيميين... الحقيقيين.

أضيئت الأنوار مرة أخرى. تعالى التصفيق لتحية العازف الذي ظل منحنيا حتى منحه "ميلشيور" نقودا في جيبه.

عاود الخدم أعمالهم وذهابهم وإيابهم. استبدل رئيس الخدم الزجاجة التي بردت في دلو الثلج.

أطفأ "ميلشيور" سيجارته في مطفأة السجائر.

– إنني أحسد على أنني أتعشى بصحبة امرأة جميلة. إنك محط أنظار كل الموائد.

أحست "لورانس" بالخجل. إنها لم تتوقع مجاملة مباشرة من هذا الرجل الذي يتاملها بعين إخصائي الحشرات. بادرت حينذاك بتحويل مجرى الحوار:

– هلا عدنا إلى ما كنا نقوله من قبل؟

قطب حاجبيه وتظاهر بالدهشة.

– كنت تتحدث عن "اليكس"... "اليكس أوبري"... ونجاحه بجانب النساء.

ارتأت الفتاة أن جملتها غبية. إن هذا الفضول مثير للسخرية.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على عيني المخرج.

– أرى... أنك تسعين إلى معرفة الحساء الذي ستشربينه.

قالت بعناد:

– مطلقا.

لكن سرعة الرد أوضحت بشاشة محدثها.

– لا تدافعي عن نفسك. من الطبيعي بعد كل هذا أن تستعلمي عن شريك المستقبل. اسمعي لقد اعتدت قبل الفيلم ألا أجمع ممثليه عندما لا توجد بينهم أي سابق معرفة، ولهذا أستعين غالبا بمجهولين مثلك. يتولد عن مقابلتهم صدمة أراها ضرورية. لابد أن يرغبوا في اكتشاف بعضهم البعض... لكن يمكنني عمل استثناء ولو لمرة واحدة... بما أنك تبدين لي قلقة فإنني سأنظم عشاء لو كنت ترغبين.

– أوه، لا.

في هذه المرة نظرت إليه باستغراب.

– ماذا يعني هذا؟ أيخيفك إلى هذه الدرجة؟ إنك لن تلعبي دور الفتاة الصغيرة الطائشة، بينما تريدين العمل بالسينما! كل هذا غير منطقي.

www.rewity.com/vb

هزت "لورانس" شعرها.

– لا أرغب في رؤيته قبل التصوير... هذا كل ما في الأمر.

– أحس أنك لم تقولي لي كل شيء. هل أخطأت بالمصادفة؟

أحست "لورانس" بعينيه السوداوين تحملقان إليها بفضول واضح. لم تواتها الشجاعة للإنكار.

– لا... إنني أعرفه من قبل... قابلته منذ فترة طويلة. أوه! إنها قصة قديمة وأفضل ألا أتحدث عنها.

سأل وقد شعر باهتمام متزايد:

– ولهذا السبب أخذت اسما مستعارا للتصوير وطلبت مني أن أحتفظ سرا ببطاقتك الحقيقية؟

كان من الصعب الكذب على هذا الرجل. قررت "لورانس" أن تكون صريحة.

– نعم.

– وأفترض أنني لن أعرف عنها الكثير؟

ابتسمت "لورانس" له وردت عليه بنفس النبرة:

– بالضبط.

– كما تريدين... لكن اعترفي بأنه يوجد ما يثير فضولي.

– إنني متأسفة... لا تضغط علي... لكن يستحيل علي أن أتكلم عن هذا.

– هل ما حدث ذكريات مؤلمة؟

شحب وجه "لورانس":

– بشعة...

برد السمك في طبقها وهي لم تمسسه بعد.

عض "ميلشيور" شفته بعصبية. إنه لم يتفاءل خيرا من هذا السر الذي لم يستطع إيضاحه على الرغم من كل هذا المجهود. لقد فقد وجهه بشاشته. سعل لكي يستوضح صوته:

– اسمعي يا "لورانس": إذا كنت طرحت عليك هذه الأسئلة فهذا

ليس تطفلا، لكن تكتمك يشغلني. إنني أسعى– قبل أي شيء– أن يتم التصوير بلا أي معوقات... تعلمين أن كثيرا من المال يصرف على الفيلم وأن مصير الطاقم كله متعلق به. إذا كان وجود "اليكس" يضايقك فإنني أحب أن تخبريني بهذا صراحة قبل أن يتأخر الوقت.

– لا... على العكس.

نظر إليها بفزع:

– لم أعد أفهم أي شيء.

لكي تطمئنه وضعت يدها على يد المخرج.

– لا تقلق نفسك يا "فيليب"... كل شيء سيسير على ما يرام.

كانت المرة الأولى التي تتجرأ فيها على النطق باسمه دون ألقاب. بما أنه أدرك أيضا هذا التآلف الجديد فقد شبك أصابعه في أصابع الفتاة الشابة. لم يستغرق هذا الاتصال المفاجئ إلا لحظات. لكيلا تلوم "لورانس" نفسها على حركتها أسرعت بالقول بنبرة مرحة:

– إنك لم تأكل شيئا... آمل ألا يكون كل هذا أفقدك شهيتك!

ودون أن ينتظر طويلا انقض على طعامه.

مر وقت العشاء المتبقي بلا أي حادث. كما كان متوقعا لم يتحدث إلا عن الفيلم. هل كان هذا الشراب الذي صبه "ميلشيور" في كأسه دون أن ينتظر أن يفرغ؟ على أية حال أحست "لورانس" فجأة بالغبطة. كانت تستمع إليه باهتمام غير مصطنع وهو يتحدث عن "المغرب" حيث سيتم التصوير. كان يبدو أنها تعرف "المغرب". كان هناك في هذا الرجل شيء يجذبها ويطمئنها في نفس الوقت. لم يكن وسيما بالمعنى الحقيقي للكلمة: كان شعره الأشعث– الذي بدأ يصبح رماديا– يحيط بوجهه السمين إلى حد ما لكن قسماته تجعله شابا. كانت تنبعث من شخصيته قوة هادئة. طوال فترة الأمسية لم يظهر أي تلميح عن "اليكس".

لمحا فجأة أن صالة المطعم شبه خالية تقريبا. نظر "فيليب ميلشيور" إلى ساعته:

– الوقت متأخر! عفوا، لابد أنني أتعبتك بكلامي هذا...

– مطلقا! جميل جدا أن أستمع إليك.

– يقال إنه عندما تكون بصحبة جميلة فإنه من الطبيعي ألا تحس بالوقت.

ضحكت "لورانس" ضحكة عالية وهي ترجع رأسها إلى الوراء. كانت مستريحة ومبسوطة للغاية.

ساعدها على ارتداء معطفها وسألها:

– هل أصطحبك؟ إن سيارتي قريبة جدا.

ترددت "لورانس". إن ركوب تاكسي في مثل هذه الساعة لا يعني لها أي شيء.

– لا مانع عندي.

في أثناء سيرهما تبادلا بعض الكلمات البسيطة. كتمت "لورانس" – التي بدأت تريد النوم – تثاؤبها مرة أو مرتين. لما وصلا إلى مقصدهما أدار المحرك مرة ثانية ليركن السيارة بطول الرصيف.

– لا تتعب نفسك، سأنزل على الفور.

تظاهر بأنه لم يسمع. عندما أوقف المحرك بحثت "لورانس" عن مقبض الباب. في نفس اللحظة أحست بلمسة على ذراعها. ارتجفت وهي على الرصيف. استدار نحوها قبل أن يتاح لها الوقت لأن تبدي أدنى حركة. دهشت وهي تسمعه يقول بصوت أجش:

– أتعلمين أن الفتيات الحكيمات مثلك جذابات للغاية؟

– "فيليب"!...

كانت تريد أن توقف الكلمات في حلقه. لكن يد "ميلشيور" صعدت بطول ذراعها حتى عنقها. كان يعبث بشعرها الآن محاولا أن يدير وجهها نحو وجهه. خلصت نفسها بهزة منها:

– "فيليب"، أرجوك.

– دعيني أقبلك.

حاول أن يجذبها نحوه. خرجت آهة من الفتاة. لقد اتخذت الأمور

منعطفا كئيبا للغاية.

– اتركني! هل أصبحت مجنونا؟

أحست بارتياح شديد أن عناقهما انفك. وضعت يد "فيليب ميلشيور" على عجلة القيادة. ابتلعت "لورانس" ريقها بصعوبة. لم تجرؤ على النظر إليه.

– عفوا... هذا أكبر مني... أنا... أنا لا أعلم ماذا تعتبرينني.

وجدت صعوبة في استعادة نفسها الطبيعي. لم تجبه "لورانس" بشيء. إن ما قد حدث أشعرها بالاضطراب.

– انسي هذا كله.

اعترضت "لورانس" بحقد:

– أصحيح ما يقال إذن؟ لابد حقا أن يدفع المرء من شخصه عندما يريد أن يدخل هذا الوسط الدنس؟ إذا كان الأمر هكذا فإنني أحب الاستغناء عن كل هذا فورا.

– لا، أيتها الحمقاء الصغيرة. الحقيقة أبسط من ذلك. إنني رجل وأنت فتاة جميلة... إن ما حدث هو الأمر التافه جدا في حد ذاته. اعترفي بأنه لا يوجد ما يثير الضجة!

ظلت "لورانس" صامتة. اعتراها إحساس بالثورة. لماذا أفسدت بحماقة هذه الأمسية اللذيذة؟

– كنت أريد أن أعرف شيئا...

تركزت نظراته عليها وقال بنبرة أصبحت طبيعية:

– هل قبلت رجلا قبل ذلك؟

رفعت كتفيها بضيق.

– بالتأكيد.

– آه! حسنا... إنني أحب هذا. لتعترفي بأن رد فعلك كان سيسمح لي بالشك في هذا.

– هذا ليس بسبب للقفز على عنق أول وافد.

– شكرا على المجاملة!

www.rewity.com/vb

على الرغم من نبرة السخرية فإن "لورانس" لمحت بعض الحقد.

لما أراد "فيليب" أن يضع نهاية لحوارهما فتح باب السيارة ولف حول السيارة لفتح باب "لورانس".

تصافحا باليد بدون حرارة متزايدة ثم صعد إلى سيارته وانطلق بها مسرعا.

فيما بعد كانت "لورانس" ممددة على سريرها وهي تفتح عينيها لفترة طويلة. كانت قلقة من النتائج التي يمكن أن تصل إليها هذه المواجهة التي لم تنته على خير. رجل انجرحت كرامته، هل تكون ردود أفعاله غير متوقعة؟ تنهدت. فكرت في "اليكس". على الرغم من قلقها لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسامة. يا لرأسها الذي جعلها تخبر "فيليب" بأنه أول رجل تقبله... في الحقيقة يبقى الوحيد لأن كل الوجوه الشاحبة التي منحتها شفتيها لم تنجح قط في أن تنسيها طعم القبلة المتبادلة في أحد أيام الصيف...

لكن في صباح اليوم التالي كانت قد نسيت هذا الحادث الغاضب. إن إمكانية رحيلها الوشيك لـ"المغرب" أشعرها بالإثارة. لقد بادرت باكتشاف هذا البلد الذي يكتسي بكل مفاتن المجهول بالنسبة لها.

الفصل الثامن

استمعت "لورانس" - وهي مغمضة العينين - إلى الضوضاء غير المعروفة التي وصلت إليها وخصوصا الصوت لهذا الغناء الغريب. كانت تستمتع بجمال شبه النوم هذا الذي استغرقت فيه بكل سعادة.

لكن الطرقات الرصينة على الباب أجبرتها على الخروج من غفلتها.

- ادخل...

دخل المغربي بهدوء وهو يحمل بيده صينية مليئة.

- نهارك سعيد يا آنسة مع هذا اليوم الجميل.

شكرته بابتسامة، وقبل أن يمشي فتح النوافذ وطوى الستائر. غمرت الشمس الساطعة الحجرة بضوئها. كان صوت المؤذن - الذي يدعو المؤمنين إلى الصلاة - يصل إلى مسامعها بوضوح.

استدار الخادم وقال بالفرنسية الخالصة:

- أترغبين في شيء آخر؟

- كلا، شكرا جزيلا.

بعد رحيله تقدمت "لورانس" نحو الباب الذي يطل على التراس المليء بالزهور ذات الألوان البراقة، وبالأسفل توجد حديقة أظهرت غزارتها حول حوض سباحة كبير حيث ينطلق ماء الصنبور نحو السماء. كانت أوراق النخل تتموج تحت تأثير النسمة الخفيفة التي أحست "لورانس" بمداعباتها على بشرتها. قالت هامسة:

- يا إلهي! كم هذا جميل!

عندما وصلت ليلة البارحة كان لديها بالكاد وقت للتعرف على هذا البلد الذي يبدو لها ساحرا على عكس ما تصورته.

تمددت بسعادة. إن رؤية صينية فطورها زادت بشاشتها: إبريق شاي من الفضة مليء بالسائل الساخن وجاتوهات بالعسل وفاكهة وكوب عصير برتقال. قالت في قرارة نفسها: "إنني كنت مخطئة حتما.. الحياة جميلة هنا!".

كان "فيليب ميلشيور" في انتظارها عند نزولها من الطائرة.

– "كازابلانكا" ليست لها أهمية ولا يحق لنا أن نتأخر بها. سأصطحبك مباشرة إلى "مراكش".

إن البحر الذي يتلألأ من بعيد والمنازل البيضاء تحت الشمس يجبران العيون على الرمش، كما أن السماء الخالية من السحب تعطي "لورانس" الإحساس بأنها في إجازة. حتى "ميلشيور" كان يبدو مريحا وكأنها لم تره من قبل. قدم لها فتاة ذات شعر أشقر قصير كانت بصحبته:

– ها هي "نادين"... إنها مساعدة المخرج. إنها تتحرق شوقا للتعرف إليك.

كانت راحة يدها قوية. بعد أن تفرست في "لورانس" من قدميها حتى رأسها قالت بدهشة:

– أنت إذن "لورا لاركوي"، نجمة المستقبل! إنني مسرورة جدا بمعرفتك.

دوى هذا الاسم في أذني "لورانس" بشكل عجيب. كان لابد من ذلك الوقت أن تعتاد شخصيتها الجديدة وأن تنسى– لعدة أسابيع على الأقل– "لورانس كايلر" هذه التي تركتها وراءها في "فرنسا". إن أمها– بشأن هذه النقطة– ستبدو متمسكة بوجه خاص: إنها لا تريد– بأي شكل– أن يدخل لقبها في المغامرة السينمائية لـ"لورانس" التي خضعت لهذا بطيب خاطر. على عتبة هذه الحياة الجديدة التي انفتحت أمامها كان هذا وسيلة لتخلص نفسها من الماضي الذي يثقل كاهلها.

في السيارة التي كانت تسير مباشرة بين النخيل، في هذا المشهد كان لديها هذا الوقت لتتعرف على "نادين" التي راقتها بشاشتها في الحال.

– هانت موجودة الآن. كل الطاقم كامل أخيرا.

أضاف "ميلشيور":

– نعم، لم يعد ناقصا إلا "اليكس".

تلقت "لورانس" هذا الخبر بارتياح. منذ رحيلها كانت تخشى اللحظة التي يلتقيان فيها وجها لوجه. سألت قائلة:

– متى سيأتي؟

كانت جالسة إلى جوار "ميلشيور" الذي ألقى عليها نظرة قصيرة:

– ربما غدا أو فيما بعد. لنعرف منه متى. على أية حال، سيتواجد هنا مع البروفة الأولى في غضون ثلاثة أيام.

قالت "نادين" موجهة كلامها إلى "لورانس":

– إنه سيأتي في طائرة، طائرته الخاصة.

كررت "لورانس" بدهشة:

– طائرته الخاصة؟

– نعم. ألا تعلمين أنه يعشق قيادة الطائرة؟ إنه شغوف بها.

لم تجب "لورانس" بشيء. لقد أحست أن ملك ذكرياتها لا يمت بالصلة إلى البطل السينمائي الذي تتحدث المجلات بالتفصيل عن مغامرات ونزوات الطفل المدلل بالنجاح. إن اللعب بطائرة خير مثال على هذا...

غير "ميلشيور" الموضوع، وقال دون أن يغفل عن الطريق:

– نحن نقيم في أحد أفضل الأماكن بـ"مراكش". أعتقد أنه يروق لك.

قالت "نادين":

– هنا يجتمع كل شيء: النظام والجمال والفخامة والهدوء والمتعة...

رد عليها "ميلشيور" بابتسامة:

– وكأنك شاعرة حقا.

سألت "نادين" "لورانس":

– هل أتيت إلى "المغرب" قبل ذلك؟

– لا، لا أعرف هذا البلد.

– سترين أنه رائع!

راع "لورانس" أن تحدد أنها لم تغادر "فرنسا" قط. في الواقع، إنها تخشى أن تبدو مثيرة للسخرية.

حل الظلام ولمعت في السماء آلاف النجوم.

كان الليل قد هبط منذ فترة طويلة عندما وصلا إلى "مراكش". مررت "لورانس" رأسها عبر باب السيارة واشتمت الهواء الفاتر حيث اختلطت معه رائحة أشجار البرتقال والروائح الأخرى غير المحددة.

قال "ميلشيور":

– ها قد وصلنا. لقد عبرنا السور. غدا سيكون لديك الوقت للتعرف على هذا البلد الرائع. سترين أيضا أنك ستقعين تحت سحرها.

دخلت السيارة الشارع المحاط بالحدائق، ووقفت أمام مبنى كان مدخله مضاء. كان القصر يبدو مثل قصر ألف ليلة وليلة.

أحاط بهما مجموعة من الخدم الذين يرتدون بنطلونات واسعة وصدارات مطرزة، ورؤوسهم مغطاة بطرابيش حمراء. لقد أرجعت "لورانس" تعبها إلى السفر، وبادرت بحصولها على قسط من الراحة.

لم تكن "نادين" تبالغ حقا: هنا كل شيء مريح ورائع.

عندما داست "لورانس" على السجاد الكثيف على الأرض الرخامية تأملت الجدران المرصعة بالفسيفساء والجبس المصنع والمدعم بالأعمدة المنحوتة.

لاحظ "فيليب ميلشيور" افتتانها الشديد:

– لابد أنك لاحظت الروعة الشرقية.

– لا يبدو لي حقا أن هذا فندق!

– يبدو أننا نحن الغربيين لم نعتد هذا. هذا شيء مألوف هنا في "المغرب".

عندما عادت "لورانس" إلى حجرتها في هذا المساء بعد العشاء كان رأسها مليئا بالصور والأحاسيس الجديدة. يلزمها أن تعتاد هذا الترف الذي لا يزال مجهولا وكل هؤلاء الناس الذين قدمهم لها "ميلشيور" لدى وصولها، والذين سيصبحون رفقاء العمل.

قبل أن تغوص في النوم تذكرت باقتناع أنها كانت محط أنظار الجميع.

*****

بمجرد أن تناولت فطورها بدأت مكياجها. كان النهار يبدو مشرقا. كان يمكنها أن تستفيد منه في التسكع والتآلف مع هذه المدينة التي تجهلها كلية. عرضت "نادين" عليها أن تكون مرشدتها ووافقت "لورانس" بحماس على الفور.

فكت أياد متدربة حقائبها ورُصّت ملابسها في الدولاب بعناية. ترددت "لورانس" فترة طويلة قبل أن تختار فستانا أبيض وصندلا من القماش. كانت توشك أن تسرح شعرها عندما رن جرس التليفون.

– آلو؟

تعرفت على صوت "نادين".

– نهارك سعيد! هل نمت جيدا؟ أنتظرك في الصالة. تعالي بمجرد أن تكوني مستعدة.

– حسنا، على الفور.

بعد خمس دقائق لحقت "لورانس" بها. كانت "نادين" جالسة على مقعد مغطى بالوسائد متعددة الألوان، ونهضت من أجل أن تقابلها. لاحظت "لورانس" أنها رائعة الجمال. لقد غيرت بنطلونها الجينز البالي بفستان من القطن جعلها جذابة للغاية. أمسكت "نادين" بذراع "لورانس" بمودة.

– هيا بنا من هنا. إنني أختنق في هذا المكان.

قالت "لورانس" وهي تضحك:

– إنك تبالغين، إنني أشعر فيه بارتياح كبير. بالمناسبة إلى أين ستصطحبينني؟

– إلى السوق.. سترين أنه مدهش.

كان الفندق في وسط حديقة كبيرة حيث كانت أشجار النخيل والبرتقال تعمل ظلا جميلا؛ لأن الشمس في هذه الساعة الصباحية كانت حارقة جدا. ذهبا إلى شارع عريض تقف فيه عربات الجياد. بدون تردد صعدت "نادين" إلى أول عربة في الصف وقلدتها "لورانس".

استدار السائق المغربي إليهما وكأنه يتساءل.

قالت له "نادين":

– إلى السوق!

انطلق السائق بعربته. كانت الشوارع مليئة بالناس من الرجال والنساء. كان من الواضح أنهم معتادون وجود السائحين الأوربيين الذين يأتون إلى المدينة.

هبت نسمة بسيطة. أكدت "لورانس":

– الجو ليس حارا هنا.

– لاننا في الربيع. لكن الحرارة في الصيف غير محتملة تقريبا.

توقفت العربة الحنطور في مكان مزدحم للغاية بالناس والبضائع حيث كان يصعب السير بالعربة في هذا المكان.

– من هنا يبدأ السوق هيا بنا.

توقفت العربة وقفزت الفتاتان منها بعد أن أعطت "نادين" بعض الدراهم إلى سائق السيارة.

بمجرد أن دخلا السوق كانت رائحة التوابل والأعشاب العطرية تفوح منها بقوة. على عتبة الحانوت الصغير كانت تتدلى قفاف مليئة بالتوابل والبهارات المختلفة.

في هذه الشوارع الضيقة والمزدحمة التي يغمرها ضوء الزجاج كانت أشعة الشمس خفيفة بسبب سياج البوص.

أمام محل المجوهرات لم تستطع "لورانس" المقاومة لأن تشتري عقدا فضيا. بعد أن قررت الخروج من المحل قال لها الرجل المسن.

– أعطني يدك...

ترددت "لورانس" كثيرا أمام هذا الطلب الغريب. حاولت الابتعاد لكن "نادين" طمأنتها بأنه يريد أن يقرأ لها الكف.

قالت "لورانس":

– لا، لا! لا أريد.

وسحبت صديقتها من ذراعها. بدا أن الرجل كان متضايقا من تصرفها هذا. قهقهت "نادين":

– إنه ليس مسرورا! كان يمكنك أن تحققي له هذا.

رفعت "لورانس" كتفيها:

– ليست لدي الرغبة في أن يتنبأ لي أحد بالمستقبل.

نظرت "نادين" إليها بعد أن استعادت جديتها:

– ألم تخبريني بأنك لا تعتقدين في هذا العبث؟

– على حسب... ذات مرة قرأ لي أحدهم أوراق اللعب وكل ما تنبأ به لي تحقق تقريبا...

– ولم تكن أمورا مقبولة؟

– أخبرني بموت أبي... ومات بعدها بعدة أيام.

تعجبت "نادين" بعدم ارتياح:

– أوه! نعم، فهمت.

صمتت "لورانس". ألقت "نادين" نظرة جانبية على رفيقتها وقالت لكي تقطع حاجز الصمت:

– لا يمكنني ذلك. هلا عدنا؟ أمامنا فرص أخرى للرجوع إلى هنا.

– لا مانع لدي.

عادتا إلى المكان ولاحظتا أن التجار لملموا بضاعتهم.

أمسكت "نادين" بيد "لورانس" بقوة:

– تعالي لترى.

نجحتا في التسلل إلى الصف الأول للمجموعة المتراصة حول ساحر الثعابين. لم تستطع "لورانس" أن تمنع نفسها من الرعشة عند رؤيتها لهذا المشهد. دون أن يترك الثعبان صفر الساحر برقة. كان الثعبان يتقدم ويرجع رأسه بحركات متموجة. دهشت "لورانس" من هذا المشهد وركزت كثيرا، لكن جارتها جذبتها بعيدا نحو مصدر جاذبية آخر.

في وسط دائرة من البدو كان هناك رجل مسن يحكي قصة لا تنتهي، لقد نجح في أن يؤثر في مستمعيه الذين التفوا حوله.

نظرت "لورانس" الدهشة: من كل هؤلاء الناس الذين بدت على وجوههم الدهشة؟! كانت عيناها تنتقلان من رجل إلى آخر عندما رأت

www.rewity.com/vb

ما أفزعها. لقد تعرفت على بعد خطوات على الوجه المألوف لـ"ميلشيور". لكن ما أفزعها حقا هو وجود "أليكس" إلى جواره. يبدو أن الاثنين لم يلاحظا وجود الفتاتين.

كانت أول حركة لـ"لورانس" هي الاختفاء بسرعة فائقة بين الناس. لم يكن لديها الوقت. أطلقت "نادين" صرخة وأشارت بأصبعها في اتجاه الرجلين.

– انظري من هناك!

أي هروب الآن مستحيل لاسيما أن رفيقتها أسرعت نحوهما. ظلت "لورانس" ساكنة وحضرت من بعيد حرارة اللقاء. لم تخف "نادين" عليها أنها تكن عشقا أفلاطونيا لـ"أليكس" التي سعدت غالبا بالعمل معه. إن "ميلشيور" – الذي علم بوجود "لورانس" – ذهب في اتجاهها لمناداتها.

بدأ قلب "لورانس" يخفق بإيقاع سريع. لقد حانت اللحظة التي كانت تنتظرها وتخشاها في نفس الوقت.

قال "ميلشيور" حينما وصلت "لورانس" بالقرب منهم:

– هكذا مثلا، يحدث اللقاء وسط هؤلاء الناس. يا للمصادفة!

ثم استدار نحو "أليكس" وقال:

– هل لي حاجة لأن أقدم لك شريكتك المستقبلية: "لورا لاركوي"؟

ساد الصمت لحظة. غاصت الحدقتان الزرقاوان للممثل في عيني "لورانس" التي لم ترمش. تحدت نظراتهما بعضها البعض. مد "أليكس" يده أولا:

– نهارك سعيد... "لورا".

صافحت "لورانس" يده دون أن تقول شيئا. رفض حلقها المنقبض أن يصدر أي صوت.

إن "ميلشيور" – الذي لاحظ ضيقها – بادر بالتفسير:

– وصل "أليكس" بعد ظهر اليوم وتقابلنا جميعا هنا مثل كل السياح الذين يصلون "مراكش".

قاطعته "نادين" وهي تضحك:

– مثلنا! أتينا لزيارة السوق. أفلتت "لورا" لتوها من رجل أراد أن يقرأ لها الكف.

ابتسمت "لورانس" ابتسامة مقتضبة. كانت تريد بأي ثمن ألا تكون في مركز الاهتمام العام.

في هذه المرة كان "ميلشيور" يطير لنجدتها وهو يعلن بنبرة سعيدة:

– وبما أنه تم عمل التقديم، هلا تناولنا العشاء معا؟ إنني أكاد أموت جوعا.

– آه... شكرا جزيلا، لكنني متعبة. أعتقد أنني ساعود إلى الفندق مباشرة.

انتهزت "لورانس" أول حجة للإفلات من هذه الدعوة التي كانت ستجبرها على تمضية السهرة مع "أليكس"، لما كانت فريسة لمشاعر متناقضة شعرت بعدم مقدرتها على أن تكون بشوشة أمام هذا الرجل الذي استمر في إحاطتها بنظرة باردة.

تلعثم "ميلشيور":

– حسنا... هنا... لن أصر.

إن حاسته تخبره بأن الأمور ليست على ما يرام بين الاثنين. تظاهر بدبلوماسية بأنه لم يلاحظ ذلك. صاحت "نادين" التي لم تدرك شيئا.

– لستما مرحين أنتما الاثنان! إنكما...

ضغط "ميلشيور" على ذراعها بقوة ليسكتها.

– هذا يكفي! دعيهما وشأنهما.

صمتت "نادين" وهي تشعر بالضيق.

وفجأة هبت عاصفة من التراب. عقدت "لورانس" ذراعيها. لقد هبطت درجة الحرارة فجأة.

إن البرد الذي اجتاحها – أكثر من وجود "أليكس" – جعل "لورانس" تضع نهاية لهذا الموقف الذي أصبح مربكا للجميع.

قالت برقة:

– عفوا لأن أخل بالالتزام يا "فيليب".

– لا توجد أدنى مشكلة. عودي بسرعة، إنك ستتجمدين من البرد! لا أريد أن تصبحي مريضة.

ظل "أليكس" هادئ الأعصاب. بمجرد أن أدارت رأسها سمعت من وراء ظهرها:

– إلى الملتقى قريبا يا آنسة "دي كايلر"!

صعدت موجة من الدم إلى خديها. كادت تستدير لكنها قررت مواصلة طريقها وكأنها لم تسمع شيئا.

فرك "ميلشيور" قمة رأسه بحيرة وهو يرى "لورانس" تبتعد. ظل "أليكس" إلى جواره رابط الجأش وعلت شفتيه ابتسامة غامضة. كرر بصوت منخفض وكأنه يكرر لنفسه:

– "لورانس دي كايلر".

ثم قطب حاجبيه واستدار نحو "ميلشيور" وتلاشى أي أثر للابتسامة.

– إذن هذه "لورا لاركوي"! اكتشافك المزعوم!

فضل "ميلشيور" تصنع الدهشة:

– نعم... أحس أنها لا تعجبك كثيرا...

– آه... أحس أنك توشك أن تدخلنا في متاهة. من الواضح أنه لا يمكنك أن تعرف...

قبل أن يرد أخذ المخرج وقته في إشعال سيجارة.

– ماذا تحكي؟ أوضح لي، اعترف بأنني لا أفهم شيئا الآن. هذه الفتاة وصلت... نظرتما إلى بعضكما بشكل غريب، وها هي ترحل وكأن تأثيرك عليها مثل الشيطان.

كان "ميلشيور" يلعب دور الساذج بشكل طبيعي للغاية. لقد كان متحيرا في الواقع. منذ العشاء مع "لورانس" كان يسأل نفسه عدة مرات إذا لم يكن يجب أن يوضح السر الذي دل عليه كلام الفتاة. لكنه تخلى عن هذا بعد تفكير ناضج. إن مشروع الفيلم موشك أن يتم ولا

يمكنه التراجع عنه. إذا كان أمر كشف الشخصية الحقيقية لـ"لورانس" إلى "أليكس" يمكن أن يسبب صعوبات فمن الأفضل ألا يقول شيئا. كان يثق بدبلوماسيته لزيادة ملائكيته إذا اقتضت الحاجة لذلك.

أحس "أليكس" بالقلق:

– الأمر يطول شرحه...

فكر عدة ثوان وهو يفرك ذقنه وقال في النهاية:

– إنني عرفتها في أثناء التصوير الذي تم في قصر والديها.

تعجبت "نادين" وهي تفتح عينيها:

– والداها يمتلكان قصرا؟ إنها غنية؟

هز "أليكس" رأسه:

– إن والدها من نوعية النبيل الريفي الذي يركب حصانا، ويدوس على المبادئ، لكن يبدو أنه لم يسر على الذهب.

كان "ميلشيور" يستمع دون أن يقول شيئا وهو يشعل سيجارته.

سألت "نادين" وهي تتذكر المودة التي أظهرتها لها "لورانس":

– لقد مات، أليس كذلك؟

– بلى.

رسم "أليكس" بطرف حذائه دائرة في التراب. لمح "ميلشيور" عند تقلص فكيه أنه متوتر للغاية.

واصل حديثه بصوت منخفض وكأنه يسمع نفسه:

– مات عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها، وأفكار غريبة في رأسها. وبسببها تحول هذا إلى مأساة. يا إلهي! إذا كنت أعرف...

سألت "نادين" والفضول يسيطر عليها:

– ماذا حدث؟ احك...

لم يرد "أليكس". تاه في أفكاره بشرود.

أصرت "نادين":

– احك يا "أليكس".

تدخل "ميلشيور" في هذه المرة:

– حسنا. لا داعي لأن تحركي الذكريات القديمة وخصوصا إذا كانت مكروهة. قل لي يا "أليكس" ... التصوير سيبدأ. لن تتغابى على الأقل؟

رفع "أليكس" كتفيه بشكل مفرط.

– لا، طبعا. الممثل والإنسان شيئان مختلفان. تعلم جيدا أن الوظيفة أمر مقدس بالنسبة لي. لكنها... إنني أجهل ردود أفعالها! آمل أن تعرف أنها لابد أن تصور معي؟

– إنها تعلم ذلك.

– و... ألم تقل شيئا؟

– كلا. لا شيء على وجه الخصوص. لاحظ أنني شعرت بأن هناك شيئا. لكنها كتمت انطباعاتها.

ارتسمت الدهشة على قسمات "أليكس".

– يا للفتاة الغريبة!

صاحت "نادين":

– مهما حدث فإنني أراها لطيفة جدا وربما تكون خجولا بعض الشيء...

قال "أليكس" بشيء من المرارة:

– خجول؟ هذا ما تبقى إذن.

قال "ميلشيور" وهو يشعل سيجارة أخرى:

– على أية حال لديها حضور مدهش على الشاشة... كما أنها جميلة.. هبط الليل على المكان. أضيئت الأنوار هنا وهناك.

قال "ميلشيور" وهو يمسك بكل من "نادين" و"أليكس" من ذراعيهما.

– هيا يا أطفال: كل هذا جميل جدا لكن هلا استمررنا في هذا الحوار حول طاجن؟ ما رأيكما؟

أجاب "أليكس":

– فكرة طيبة. إنني جائع أيضا.

ما إن اجتازوا عدة أمتار حتى دوى صوت من خلف ظهورهم.

– لو سمحتم! انتظروا! لا ترحلوا بسرعة.

استداروا والدهشة تعلو وجوههم. كانت فتاة خجول تنظر إليهم من خلف نظارة كبيرة. كانت تتأرجح على قدميها ولا تجرؤ على الاقتراب.

قالت للممثل وهي تحمر خجلا:

– إنك "أليكس أوبري"، أليس كذلك؟

أجابها قائلا بسخرية:

– لا يمكن إخفاء أي شيء عنك؟

قالت وهي تشير إلى الكاميرا التي تحملها:

– هل يمكنني؟

ألقى "أليكس" نظرة سريعة من حوله. لقد تعرف عليه سائحون آخرون واقتربوا منه بفضول. قال مترددا:

– نعم، ولكن بسرعة.

لم يكن يشعر بأنه في حالة تسمح بأن تلح عليه كثيرا قبل أن تتاح له الفرصة لأن يهيئ نفسه، وفي لحظة كانت قد التقطت صورتين أو ثلاث صور.

قالت وهي سعيدة تماما بما حصلت عليه:

– ها قد انتهيت. شكرا جزيلا!

قال "أليكس":

– لنسرع إذا أردنا الاستمتاع بالهدوء.

وأسرع الثلاثة الخطى ليهربوا من دائرة الفضوليين الذين تجمعوا حولهم..

الفصل التاسع

وضع "ميلشيور" مكبر الصوت مرة أخرى وفرك جبهته. كان وجهه قرمزيا.

– هذا حسن يا أطفالي! الجو حار جدا. لنتوقف الآن قليلا.

هرع الجميع إلى المشروبات الطازجة التي راعى الـ"ريجيسير" إحضارها. جلست "لورانس" على كرسيها وكوب العصير بيدها.

عندما بدأ الفنيون في وضع المعدات كانت قد اكتشفت بدهشة مبهجة اسمها الذي نقش بحروف بارزة "لورا لاركوي" على ظهر الكرسي مثل كل نجمات السينما الحقيقيات.

مر اليوم الأول للتصوير بشكل جيد على عكس ما كانت تتصوره. لقد شعرت في البداية بضيق في التحرك بلباس البحر أمام الكاميرا كما يقتضي السيناريو. لكن الأصعب ما هو آت: في المشاهد القادمة كان لابد أن يقبلها "اليكس"... كانت تبحث عنه بعينيها. كان يوشك أن يتناقش مع المخرج المنفذ. بمجرد أن أصبح بمنأى عن مجال الكاميرا فإنه تظاهر بتجاهلها. أنزلت قبعتها لكي تتفرس فيه جيدا. كان جسده نحيلا وقويا.

قالت لنفسها بنبرة مكر: "إنني متأكدة أنه لابد أن يفعل كل ما يلزم للمحافظة على لياقته. كان يحس أنها تراقبه لأنه رفع رأسه في اتجاهها. لكن لم تتحرك أية قسمة من قسماتها: سألت نفسها بحيرة: "عدو أو صديق؟ يصعب قول هذا.

اقتربت مصففة الشعر لتجري بعض اللمسات الأخيرة.

– هل أنت على ما يرام يا آنسة؟

أجابت "لورانس" وهي تبتسم:

– إلى حد ما.

أشارت مصففة الشعر الشابة بذقنها نحو "اليكس" وقالت:

– لا تقلقي فكل شيء سيسير على خير ما يرام معه. إنه خبير!

كان يوجد في صوتها نوع من الإعجاب.

قالت "لورانس" في قرارة نفسها: "إنهن جميعا يعشقنه بالتأكيد".

ظلت بمفردها وأغمضت عينيها لحظات. لقد أحست الحاجة لأن تستريح. لم يستمر هدوؤها: لقد جلس "ميلشيور" على الكرسي المجاور إلى كرسيها وقدم لها سيجارة.

– لا، شكرا.

ربت كتفها بمودة.

– أتعلمين أنك تتصرفين جيدا يا جميلتي؟

ألقت "لورانس" عليه نظرة عرفان.

– حقا؟

نادى "اليكس" الذي اقترب– على ما يبدو– على مضض. وبحركة مسرحية اتخذه "ميلشيور" كشاهد.

– ألا ترى أن ممثلتنا الصاعدة تتدبر أمرها جيدا؟

– أعتقد– بالفعل– أنها ممثلة كوميدية ممتازة.

أظهرت النبرة الساخرة المجاملة الواضحة.

سألت بعدوانية مفاجئة:

– ماذا تقصد؟

ابتسم ابتسامة خافية:

– لكن هذا واضح على ما أعتقد؟ إنك تؤدين الكوميديا بشكل جيد.

في هذه المرة كانت "لورانس" ثابتة. لم يكن هناك خطأ، إنه إعلان حرب. نهضت متضايقة دون أن تنطق كلمة واحدة وكتمت غيظها. لماذا يعاملها بهذا الشكل؟

– "لورا"!

كان هذا صوت "ناديين". استدارت.. كانت الفتاة تمسك بكراسة الإخراج، ولاحظت بدهشة أن عيني "لورانس" مليئتان بالدموع.

– ماذا بك؟

– هذا بسبب "اليكس". إنه بشع، من يعتبر نفسه؟

هزت "نادين" رأسها:

– ألا تعتقدين أنه لابد أن تسويا حساباتكما مرة واحدة؟ لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا الحال. إذا لم توضحا الأمور فإن جو الإخراج سيتسمم.

– لم تقولين هذا؟ هل حدثك؟

قالت "نادين" بنبرة متململة:

– قليلا. بالمناسبة... ألم تحكي لي أنك كنت تعرفينه قبل ذلك؟

– ما فائدة هذا؟ الأمر برمته قديم للغاية.

أحست "نادين" أنه من الأفضل أن تغير الموضوع.

– أعتقد أنني سأستحم. لابد أن تفعلي نفس الشيء حيث إنه سيريحك.

تأملت "لورانس" بضيق الماء التركوازي لحمام السباحة الذي كان يلمع تحت أشجار النخيل. لقد جففت الشمس لباس بحرها منذ فترة طويلة. تنهدت قائلة:

– بعد كل هذا، فأنت محقة.

وفي لمح البصر تخلصت "نادين" من ملابسها. نظرت "لورانس" إليها وهي تغوص برأسها ثم تعاود ظهورها بعد عدة أمتار وهي تشير بيدها.

– هل ستأتين؟

ألقت بنفسها هي الأخرى في الماء المنعش وأغمضت عينيها وهي تستمتع بمداعبة جسمها. لكن صوت الغطس القريب منها والذي تبعته مجموعة كبيرة من المد وضع نهاية لخمولها.

ظهر "ميلشيور" وهو ينهج مثل عجل البحر.

– أوه! عفوا! أوقعتك في دوامة.

أجابته وهي تسعل:

– تقصد أنك كدت تغرقني!

انفجرا في الضحك. كان واضحا أنها لم تعد مهتمة بالحادث البسيط

الذي وقع لها مع "اليكس" منذ لحظات.

رفعت نفسها على حافة حمام السباحة بحركة بطيئة. أراد "ميلشيور" أن يقلدها لكن كيلو جراماته المائة لم تطعه في ذلك وسقط بقوة في الماء.

مدت "لورانس" إليه يد الإنقاذ.

قال وهو يتنهد بنبرة كوميدية:

– لابد أن أمارس الرياضة.

نظر من حوله وتعبير السعادة يكسو وجهه.

– إنها فرصة لأن أحصل من إدارة الفندق على إذن بالإخراج هنا. يا للديكور الفاخر! حقيقة يبدو لي أن لدي حاسة قوية.

لم تكن "لورانس" مدركة لتأثيرها فيه حينما ثنت ذراعها على وجهه.

– بادرت برؤية "اللقطات" هذا المساء. إنني أتساءل عما إذا كنت جميلة أيضا مثلما هو الحال في الطبيعة.

بينما كان يتكلم أحست بيده تداعب كعبها. اعتدلت كما لو كانت قد تأثرت بتيار كهربائي. لم تعد لديها الرغبة في المزاح.

– لا للقدم يا "فيليب"! إنك بشع!

بدا الارتباك المصطنع عليه.

– ليست جريمة لأن أعجب بالجمال.

– هذا يخصك لكنه لا يؤثر.

– عفوا لمقاطعتكما! يبدو لي أن هذا هو الوقت المناسب.

كان هذا صوت "اليكس". لقد ظهر فجأة بلا ضجيج. كان شعر "ميلشيور" أشعث وكان متضايقا قليلا لمفاجأته هكذا. وقف على قدمه واستعاد وجهه– في لحظتها– رصانته المعتادة.

– حسنا. سنستأنف في خلال خمس دقائق.

ظل "اليكس" بمفرده مع "لورانس" وقال بازدراء:

– من الأحسن أن تثبتي الموهبة أمام الكاميرا وليس خلفها.

أجابت وهي ساخطة:

– ربما تكون ممثلا جيدا، لكن بالنسبة للإنسان فإنك مجرد وغد!

مع اشتداد فكيها رأت أنها هي التي أحرزت نقطة في هذه المرة.

تظاهر الاثنان بعد عدة دقائق أمام الكاميرا بأنهما نسيا هذا التراشق بالأسلحة، واتبعا تعليمات "ميلشيور" بانتباه شديد وهو يعلق على المشهد المراد تصويره.

– وأنت يا "لورا" تحقدين عليه. إنك ساخطة، يبدو هذا في عينيك وفي كل كيانك. إنه يهينك ومن ثم تصفعينه. لكن صفعة حقيقية، إيه؟ حتى نشعر بأنك تكرهينه.

استمعت "لورانس" دون أن تنطق كلمة واحدة. لقد أحست أنها لن تجد صعوبة في تصوير هذا المشهد. لقد لاحظت أن "ميلشيور" يعاملها بشكل عادي كما لو كان يبدو شخصا آخر غير الذي كانت تزجره.

عاد المخرج إلى كرسيه وتأكد بنظرة سريعة من عينيه، أن كل شيء في موضعه، وصاح "سكوت" وتسمر الجميع في أماكنهم.

بدءا من هذه اللحظة لم تحس "لورانس" بأي شيء. انقضت بسرعة على "اليكس" بعد أن وقفت برهة قبل أن ترفع يدها وتصفعه.

صاح "ميلشيور":

– اقطع! هذا ليس رائعا.

أعيد المشهد مرة ومرتين ثم ثلاث مرات.

من الواضح أن هذا لا يجدي. أحست "لورانس" بعصبيتها تزداد. لقد حاولت أن تفعل أقصى ما يمكنها، لكن شيئا ما في اللحظة الأخيرة كان يمنعها. كانت تحس بأنها تصفع دمية صبي صغير.

لم يكن "ميلشيور" سعيدا. تصبب العرق على وجهه. قال وهو يكز على أسنانه:

– يا إلهي! أريد أن أصدق أنك لا تبدين نحوه أية مودة. أظهري لي هذا بحق السماء!

مع هذه الكلمات قبض "اليكس" على شفته. رأت "لورانس"

السخرية في عينيه اللتين تركزان عليها. اجتاحها غضب مفاجئ، إنه يسخر مني. قبضت على يديها بعصبية.

عاد "ميلشيور" إلى مكانه.

– موتور!

انطلقت "لورانس" مسرعة وأعطاها الغضب جناحين. توقفت على بعد سنتيمترات من "اليكس" وصفعته بقوة شديدة حتى إنه ترنح في هذه المرة تحت تأثير ضربتها وبشكل غريزي رفع يده إلى خده حيث بدأ يظهر الأثر المميز لأصابعها الخمسة. ظلت "لورانس" دهشة من جراء عنفها الشديد.

صاح "ميلشيور":

– حسنا! هذه هي الصفعة على الأقل.

قال "اليكس" متذمرا وهو يحاول السيطرة على غضبه:

– بالفعل.

واصل "ميلشيور" حديثه:

– حسنا، هيا نكمل. أنت يا "اليكس" لن تبقى بمكانك هكذا. إنك ساخط وتهرع إليها. بما أنها تتخبط فإنك ستقبلها ولكن بغضب؛ لأن هذا لم يعد حبا بعد.

ارتعدت "لورانس" وقالت في قرارة نفسها: "آه! ها نحن قد وصلنا إلى هذا". إن إمكانية التظاهر بتقبيل هذا الرجل الذي يكرهها بكل وضوح بدت لها غير محتملة. ألقت نظرة ساخطة من حولها. لكن لا توجد وسيلة للاختفاء من أمام كل هؤلاء الناس الذين ينفرسون فيها. يا لهذا الموقف العابث! أحست فجأة بنخسة خفيفة في حلقها فجأة. تملكتها ضحكة مجنونة عصبية. كان يستحيل عليها أن تكبت نوبة الضحك التي هزتها. استعادت بعد لحظات وبعد مجهود عظيم- جديتها لأن "ميلشيور"- الذي كان ينتظر كثيرا- قد بدأ يستشيط غضبا.

– سكوت! "لورا"، هل أنت مستعدة؟ حسنا، وأنت يا "اليكس"؟

ابتلعت "لورانس" ريقها بصعوبة. لم تعد لديها الآن الرغبة في الضحك. كان وجه "أليكس" بلا أي تعبير، ومع ذلك كانت كل عضلاته متأهبة مثل عضلات الأسد المتأهب للقفز على فريسته.

عندما أعطى "ميلشيور" الإشارة تغير وجهه فجأة. كان يصعب التعرف عليه بسبب القسمات المتجهمة من الغضب المكتوم. أحست "لورانس" رغما عنها أن ساقيها تهتزان تحتها عندما رأته يقترب منها بخطى رشيقة. وبيد حديدية لوى ذراعها خلف ظهرها مما جعلها تتأوه من الألم. حاولت "لورانس" الغاضبة أن تتخلص من ذلك بشتى الوسائل. كان يمسك بها بقوة حتى إن مجهوداتها ذهبت أدراج الرياح. لم يكن هناك أي شيء في الحسبان سوى هذه المعركة غير المتكافئة أمام هذا الفظ. إن كل ما تشعر به نحو هذا الشخص طوال السنوات الماضية تدفق في سيل الغضب هذا الذي تملكها.

شدد "أليكس" على ذراعها وأجبرها على رفع رأسها، وأحست حينذاك بشفتيها تتحطمان على شفتيه كما لو كان يسعى إلى خنق صرخاتها في حلقها. ضربته على مؤخرته لتفلت منه ولكنه أمسك بعنقها بيده الأخرى. أدركت فجأة أنها شيء آخر غير قبلة السينما: إنه يقبلها حقيقة وبغضب. مال نحوها بكل ثقله وقضى على مقاومتها. قاومت أولا هذه القبلة التي يفرضها عليها بالقوة، وحاولت عبثا أن تدير رأسها. مجهود لا طائل من ورائه. كان يمسكها بيد من حديد، اجتاحتها رعدة طويلة. لقد استجاب جسمها- رغما عنها- إلى هذا النداء المحتدم وأغمضت عينيها.

صاح المخرج في مكبر الصوت:

- اقطع!

لكنهما لم يسمعا أي شيء.

- اقطع!

استردا وعيهما ببطء. تلاقت أنظارهما وتفرسا في بعضهما كما لو كانا يكتشفان بعضهما. تراجع "أليكس". جفف جبهته بظهر يده

أصبحت "لورانس" مكفهرة اللون.

قال "ميلشيور" الهائج:

- البداية عظيمة.. حتى القبلة كانت طويلة. هذه القبلة، الطويلة جدا! إنني قلت: من الغضب وليس من المشاعر...

ألقى سيجارته على الأرض وحطمها بضربة من قدمه. كان يبدو ساخطا.

- هيا، سنعيد. فقط مشهد القبلة.

اعترضت "لورانس" بضعف:

- ولكنني..

- لا تجادلي. لنعد مرة أخرى ولا للسحنة المغشي عليها. إنه مشهد عنف، لا تنسي ذلك.

في هذه المرة سار الأمر كما أراد السيناريو وبدون أي تغيير، وبدا "ميلشيور" قانعا الذي قال لفريق العمل:

- هذا عمل اليوم يا صغاري. سنرى هذا المساء ما صورناه من مشاهد.

تجنبت "لورانس" النظر إلى "أليكس". كانت تنتظر أن يبتعد لتسأل المخرج:

- ماذا تعني بـ"سنرى" ما صورناه من مشاهد؟

جحظت عينا المخرج بدهشة:

- كيف؟ ألا تعرفين؟ لابد أن تعلمي كل شيء. المقصود بهذا هو إعادة عرض مشاهد النهار. إذا كانت جيدة فلا بأس وإلا فإنه يلزم إعادتها.

"إعادتها، مستحيل" كان هذا هو رأي "لورانس" شعرت من جديد برعشة عجيبة تجتاحها لما تذكرت الأحاسيس العنيفة التي أحستها بين ذراعي "أليكس". اكتشفت بنوع من الخوف أنها شعرت بلذة مضطربة في أثنائها.

على الرغم من تحفظه أصر "ميلشيور" على حضورها هذا العرض.

اعترضت بشدة:

– لا أريد أن أرى نفسي.

– يلزم ذلك يا صغيرتي. إنها الوسيلة الوحيدة لكي تعرفي أخطاءك وتصحيحها.

لكنها لا تدرك المشقة التي يمثلها هذا. في الصالة المظلمة ومع الصور الأولى أحست بقلبها ينبض بشدة. إن رؤية نفسها مستسلمة هكذا على الشاشة وعلى مرأى من الجميع تبدو لها مهمة غير محتملة. عندما أتى مشهد القبلة أخفت وجهها بين يديها. لحسن الحظ لم يستطع أحد أن يرى في الظلام الاحمرار الذي كسا خديها. هذا العرض غمرها بالخجل.

لم تتحمل هذا وجرت خارج الصالة دون أن تنتظر النهاية. لما سمعت الخطوات المسرعة خلفها علمت على الفور أنه "أليكس". أسرعت ولكنها أحست بيده على كتفها.

– لم تهربين هكذا؟

كان صوته شبه لاهث:

تخلصت من قبضة يده بضربة قوية:

– اتركني لو سمحت.

– لا يبدو أنك تريدين الرحيل. ومع ذلك لابد أن تكوني سعيدة: إنك ثقبت الشاشة كما يقول هذا العزيز "ميلشيور".

تلاقت النظرات مثل النصلين.

– لن أسامحك أبدا لأنك تغالين في الموقف هكذا.

ابتسم ابتسامة مصبوغة بالمرارة.

– هذا لا يبدو محزنا لك بقدر ما أتذكر.

إن تذكيره لها وقت ضعفها جعلها تثور.

– ها هو رد فعل رجل يتصور نفسه زير نساء ليس عليه سوى أن يفتح ذراعيه لتقع النساء بينهما. لتعلم أنك لن تضيفني إلى مجموعتك.

– حمقاء صغيرة. لم ترغبي سوى هذا منذ سنوات.

صرخت صرخة حيوان مجروح:

– اسكت! لا تحدثني هكذا! لقد دفعت الثمن غاليا بسبب حماقتي: لقد مات أبي بسببك!

شحب "أليكس" وهمس بصوت أجش:

– تعلمين جيدا أن هذا غير صحيح.

أدارت "لورانس" ظهرها له وهربت.

حاولت في غرفتها– وهي تدس وجهها في وسادتها– أن تستعيد هدوءها. لقد اختلط بداخلها الإحساس بالذنب والكراهية وتسببا في معركة بلا هوادة بداخلها.

– لماذا؟ لماذا رأيته مرة أخرى؟ إلام تشير إشارة القدر هذه؟ أوه! إنني أكرهه!

ضربت بقبضتي يديها الوسادة وهدأت رويدا رويدا. لقد نمت بداخلها فكرة ما.

بعد أن أخذت دشا فاترا وضعت مكياجها بعناية لتخفي كل آثار حزنها. ثم ارتدت ملابسها. اختارت فستانا من الساتان الأسود يحدد منحنيات جسمها. مشطت شعرها كثيرا قبل أن ترفعه– من جانب واحد– بواسطة مشط من الخرشف مغطى بالألماس الصناعي.

وضعت اللمسات الأخيرة على مكياجها ونزعت وردة من القازة ووضعتها على صدرها وتأملت نفسها في المرآة ولم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام للصورة التي تبدو عليها: صورة المرأة المثيرة المختلفة عن الفتاة النحيفة التي كانت قد وصلت إلى "المغرب" منذ عدة أيام.

إذا كانت تشعر ببعض الشكوك في نفسها فإنها قد تلاشت بمجرد أن دخلت صالة الطعام: اتجهت كل الأنظار نحوها. نمت في وسط كل الزبائن الذين يتفرسون فيها بلا تحشم "ميلشيور" الذي كان يتسكع وسط رفقائه المعتادين وبعض الممثلين واثنين أو ثلاثة من الفنيين الذين رأتهم "لورانس" في أثره. تأكدت باقتناع أن "أليكس" يوجد بينهم

أيضا.

قال لها "ميلشيور" وهو يقبل يدها باحترام:

– كنت أسأل نفسي عن مكان اختفائك.

بمجرد أن جلست استؤنفت الحوارات التي انقطعت عند وصولها.

همس "ميلشيور" في أذنها كما لو كان يبوح لها بسر:

– إنك في خير حال. لقد طلبت "باستيلا" لهذا المساء.

– ما هذه الـ"باستيلا"؟

– إنها فطيرة محمرة عبارة عن خليط من الحمام واللوز والبيض والعنب. سترين أنها قمة المطبخ المغربي.

إنه لم يغال في شيء. أحست "لورانس" عندما وضعت هذا المذاق المملح والحلى في نفس الوقت بأنها لم تتذوق شيئا أفضل منه. بعد الـ"باستيلا" أحضرت الطواجن اللذيذة واحدا بعد الآخر.

على الرغم من المراوح الكثيرة كانت حرارة رطبة تسيطر على الجو. كانت "لورانس" تضحك من أعماق قلبها على نكات "ميلشيور". أما "اليكس" فكان يتظاهر بتجاهل وجودها.

بعد الحلوى بالعسل قدمت القهوة في أقداح صغيرة. تذوقتها "لورانس" على عدة رشفات عندما مال "ميلشيور" بوجهه عليها.

– السهرة ستنتهي بشكل جيد إذا أكملناها في الملهى الليلي.

أجابت "لورانس" وهي تبتسم:

– ولم لا؟ شريطة أن يصطحبنا كل أصدقائنا.

وأشارت إلى رفقائهما وأضافت بمكر:

– لا ترون أي ضرر على ما أعتقد؟

همس قائلا:

– بالتأكيد لا.

لقد رأت مع وجهه الأحمر أنه يفكر في العكس تماما. لقد أحست بإثارة لذيذة: إنها في هذه المرة المسيطرة على اللعبة.

عندما نهض الجميع بمجرد انتهاء الوجبة خشيت للحظة أن تفشل

الخطة التي أعدتها عندما تأكدت أن "اليكس" ظل بمفرده في مكانه. تلاشى قلقها بسرعة حيث رأته يدخل الصالة الصغيرة الغارقة في الظلام للملهى الليلي.

واضعا يده في جيبه جال بنظراته المثيرة للضيق عليها كما لو كانت شفافة. كان يبدو أنه يسأل نفسه عما يفعله في هذا المكان. جلس إلى المشرب وطلب شرابا. كان هناك عدد كبير يرقص على حلبة الرقص. لم تتوان "لورانس" عن أن تتلقى دعوة من ممثل كانت قد تحدثت معه كثيرا في أثناء الوجبة. حاول أن يعانقها عن قرب ولكنها أفهمته أنه من الأحرى ألا يصر على ذلك.

ألقت نظرة خاطفة على "اليكس" الذي تظاهر بالانهماك في تأمل كأسه. عندما جلست همس "ميلشيور" وهو يميل عليها:

– إنني أرقص برشاقة دب، ومع ذلك، أتقبلين أن أصطحبك في هذا العرض؟ سأحاول ألا أكون ساخرا جدا.

انفجرت "لورانس" في الضحك.

– إنني متأكدة أنك تغتاب نفسك.

رقصا معا عدة لحظات في صمت. بعد قليل أحست بنفسه على عنقها.

– أتعلمين أنك مثيرة للغاية؟

ضمها إليه بقوة وهمس في أذنها:

– أيها المبجل "أليكس"! اغتنمها.

ارتعدت "لورانس":

– لم أفهم شيئا مما تقوله.

– هيا إذن. لا تمثلي دور القديسة المتظاهرة بالتقوى. هذه القبلة لم تكن خدعة؟ ويبدو أنها أسعدتك.

حملقت إلى الوجه المحتقن الذي يبعد عن وجهها عدة سنتيمترات. كانت رائحته مفعمة بالشراب. باشمئزاز. بالتأكيد دار كل شيء كما كانت تتوقع لكنها لم تتصور أن يبدي "ميلشيور" قليلا من الاحتشام.

عندما أحست أنه يسعى لتقبيل عنقها حاولت أن تدفعه، لكن استحال عليها التخلص من العناق الذي يطوق خصرها. قالت بغضب في قرارة نفسها: "إذا استمر فإنني سأصفعه".

– "ميلشيور" يجدر بك أن تجلس. لم تعد قادرا على الوقوف يا عزيزي.

من فرط دهشته ترك "لورانس" ونظر باستغراب إلى "أليكس" الذي يضايقه بغضبه.

– ولكن أنا... دعني وشأني! بم تهتم؟

– بما يخصني أنا.

دون أن يهتم كثيرا بـ"ميلشيور" الذي بقي مغروسا في مكانه أمسك بمعصم "لورانس" وهمس من بين أسنانه:

– لنرقص.

– لا، لم أعد أرغب في هذا.

كانت لا تزال مرتعدة من الغضب.

– إنني أختنق هنا، أحتاج إلى هواء.

ألقت نظرة ساخطة على "ميلشيور" الذي حدق بعينيه كما لو كان لم يستطع أن يتحقق مما جرى.

– تعالي إذن. لنتركه ينعم بشرابه.

جذبها بيد قوية نحو باب الخروج. لم تبد نحوه أية مقاومة وهي ثملة تقريبا بواسطة الحرارة والشراب. علاوة على هذا فإنها لم تفعل كل شيء من أجل أن تسير الأمور بهذه الطريقة؟

في الحديقة اشتمت الرائحة العطرة لشجر البرتقال بعد رائحة الدخان في الملهى الليلي. لكن "أليكس" لم يترك لها الوقت الكافي لاغتنام هذه الفرصة وقال فجأة:

– أظن أنك مستمتعة جيدا هذا المساء؟

خفضت رأسها دون أن تجيب.

– أتعتقدين أنني لم أدرك مناورتك؟ آه! إن لعبة إغرائك قوية. كل

هذا من أجل أن تلعبي برأس هذا الأحمق الذي لم يلاحظ أنك تسخرين منه لأنه شرب كثيرا! حسنا! إنك تشقين طريقك منذ أن كنت في السادسة عشرة من عمرك.

أحست فجأة بأنها أفاقت وقالت:

– بأي حق...؟

قاطعها قائلا:

– أتعلمين من أنت؟ امرأة مثيرة ولا شيء آخر!

خفضت "لورانس" رأسها تحت تأثير الإهانة. لم تستطع بداخلها أن تمنع نفسها من الاعتراف بأنها كانت تسعى وراء ذلك.

انتزع فرعا من الشجرة التي كانت توجد بالقرب منهما وكسره إلى عدة أجزاء ألقاها على الأرض.

– "لورا لاركوي" تتصرف مثل... (كان يبحث عن الكلمة لكنه تخلى عن ذكرها). كنت أفضل الصغيرة "لورانس دي كايلر" التي كانت متميزة بشكل أكبر!

شهقت "لورانس" وأحست بشيء يسد حلقها.

– لا تقل هذا. إذا عرفت...

صمتت وكانت عاجزة عن نطق أي كلمة.

أمسك بيديها برقة مفاجئة وجذبها نحوه. كانت عيناها مليئتين بالدموع ورأت أنه ينظر إليها بتعبير متغير وتمتم:

– حمقاء صغيرة.

لقد فقد صوته كل فظاظة.

دون أن تدرك ما حدث لها وجدت نفسها بين ذراعيه. كان وجهه في شعر "لورانس" واشتم رائحتها، وأغمض العينين... لم يعد قادرا على إخفاء اضطرابه. تلاقت شفاههما في قبلة طويلة. في هذه المرة لم يكن هناك أثر للعنف، لا شيء سوى هذا الإحساس المرهف الذي جعل الاثنين يرتعدان.

– ماذا حدث لنا يا "أليكس"؟

www.rewity.com/vb

– حدث لنا أروع شيء في العالم.

نظرت إليه وهي لا تزال غير مصدقة.

– أعتقد أنني وقعت في الحب.

لما كانت السعادة تغمرها قالت متلعثمة:

– إنني متأكدة من ذلك. كنت أعلم جيدا أن هذا سيحدث ذات يوم.

ضحك وهو يضمها إليه بقوة:

– هذا هو الجانب السيئ.

هزت رأسها وتابعت فكرته:

– كنت قد أقسمت لك على هذا، أتتذكر؟ ذات مساء في منتصف الليل...

الفصل العاشر

زمجر "ميلشيور" وهو يطرق على المائدة الخشبية بقبضته.

– يا إلهي! عندما تدور فكرة برأسك فأنت لا تتخلى عنها أبدا!

دون أن يتأثر بذلك حمل "اليكس" إلى فمه كوب الشاي بالنعناع. أخذ وقتا في تذوق الطعم المحلى قبل أن يجيب:

– أراك عصبيا.

ضحك "ميلشيور" ضحكة مكبوتة:

– آه! إنها جيدة! يقال حقيقة أنك تتفنن في تعقيد حياتي.

– لا أرى داعيا لهذا.

– اسمع، إذا علم الإنتاج في وسط التصوير أنني سمحت لك بالتجول على سطح طائرتك فإنني أعرف ما سيحدث. علاوة على أنك تنوي اصطحاب الصغيرة! لا يا عزيزي أنا غير موافق.

– ما الذي سنخاطر به؟

– كل شيء! إذا وقعت حادثة أتدرك المصيبة؟ يتعطل الفيلم وملايين الفلوس تطير في الهواء.

أخذ "ميلشيور" نفسا عميقا. لقد أغاظه عناد "اليكس". استطرد "اليكس" بضيق:

– هناك تأمينات.

– أتمزح أم ماذا بالضبط؟ التأمينات لا تغطي إلا المخاطر التي تتم في أثناء التصوير وليس للحماقات المرتكبة خارجه.

ساد الصمت. مال "ميلشيور" ليمسك زيتونة مضغها قبل أن يلفظ نواتها. تفرست عيناه الداكنتان في "اليكس" بلا رقة. كان هذا الأخير يمدد ساقيه وكان يعلم تماما أنه سينتزع ما يريد من "ميلشيور".

– هذا سيسعد "لورانس" للغاية.

صحح المخرج:

– "لورا". لا أعرف "لورانس".

www.rewity.com/vb

قال "اليكس" بتسامح:

– لا مانع. باختصار لقد وعدتها.

– هذا ما الومك عليه. ألا يمكنك الانتظار حتى نهاية التصوير لتقوم بجولة سياحية معها؟ ثم هناك شيء آخر لا يروق لي مطلقا حتى لا أخفي عليك شيئا.

تردد "ميلشيور" ثواني قبل أن يواصل كلامه دون أن ينظر إليه.

– كنت أود أن أتأكد أنك لن ترتكب حماقة.

نهض "اليكس" وأفرغ بقية الشاي وقال وهو يضع كوبه:

– هذ يكفي يا "ميلشيور"، إنها شؤوني.

تراجع الآخر في الحال.

– حسنا، لا تغضب. لكنها ليست مثل الأخريات. لا يجب أن تصطحبها معك.

نهض "اليكس" وقد عزم على وضع نهاية للحوار.

– موافق إذن؟

– نعم، ولكن من أجلك فقط، لكنها المرة الأخيرة. وأمسك لسانك أيه؟ إنني لم أر ولا أعرف شيئا. لست على علم بالأمر. مفهوم؟

دس سيجارة بين شفتيه وقرب لهب عود الكبريت من وجهه. لاحظ "اليكس" أن أصابعه الصفراء ترتعد.

– إنك تدخن كثيرا.

سخر "ميلشيور":

– أعلم، أعلم. التدخين... الشراب... لا يوجد غير النساء.

أحس "اليكس" بالرثاء نحوه. إن قلبه رهيف ويمتلك حنانا كبيرا ويمكنه إخفاء أحزانه. إن مرارة حبه خرافية.

كان "ميلشيور" مستغرقا في أفكاره.

سأل "اليكس":

– ماذا ستفعل اليوم؟ أتذهب إلى السوق؟

– أوه! تعلم أن أيام الراحة أراها كئيبة. لا أرغب في التنزه مع هؤلاء

الفتيات اللواتي يتعلقن بذيل سترتك مثل الذباب على طبق العسل... لاحظ مع ذلك أنه توجد آثار شائقة يمكن زيارتها في "مراكش": إنها مقابر السلاطين. إنها عجيبة. أتعرفها؟

– كلا. مرة أخرى سيمكنني الذهاب إليها معك.

تظاهر "ميلشيور" بانه لم يسمع شيئا ونظر إلى ساعته.

– التاسعة والنصف! إنه أحد الأمرين: إما أنها لم تستيقظ أو أنها نسيت موعدها.

ابتسم "اليكس":

– لا هذا ولا ذاك. لابد أنها تأخذ وقتا كبيرا على غير المتوقع في تجهيز نفسها.

– رائع، إنك رائع. وذو صبر! الأمر بسيط.. لم أعد أعرفك. أين مضى الحال بنجمنا "اليكس أوبري"، محطم قلوب الفتيات؟ لابد أنها جعلتك تشرب مشروبا سحريا. بالمناسبة فأنا أشرب كثيرا.

نادى النادل الذي ناوله زجاجة شراب. بعد أن ابتعد النادل أكمل مازحا:

– يبدو أنه منشط للقلب.

دوت الكعوب على البلاط الرخام وظهرت "لورانس" وهي تنهج قليلا.

– نهارك سعيد. آه، عجبا! أنت هنا يا "فيليب". آمل ألا أكون قد تأخرت.

أحاطها الرجلان بنظرة تقدير. كانت مرتدية بنطلون چينز ضيقا وسترة متناغمة معه، وكانت النضارة تشع من سنواتها العشرين.

أجاب "ميلشيور" دون أن يترك لـ"اليكس" وقتا للرد:

– يا عزيزتي، لابد أن تُنتظر دائما المرأة الجميلة... إذا أردت الاستمتاع بوقت هذا اليوم فارحلي على الفور. ولا داعي للتهور.

قال "اليكس" وهو يضع على كتفه حزام الحقيبة الجلدية. إلى اللقاء غدا! ربما نعود متأخرين في هذا المساء.

– لا أريد أن أعرف. على أية حال، حاولا أن تكونا في كامل

www.rewity.com/vb

لياقتكما غدا. سنصور مبكرا.

بعد الوداع جذب "أليكس" "لورانس" بسرعة إلى السيارة التي وفرتها له إدارة إنتاج الفيلم. حينما انطلقت السيارة ركنت "لورانس" في وسط مقعدها واتجهت بوجهها نحو أشعة الشمس. ألقى "أليكس" عليها نظرة جانبية. كانت عيناها مغلقتين وابتسامة غامضة على شفتيها وتشعر بالتأثر للفراق.

تركا الشوارع المزدحمة لـ"مراكش"، وزود "أليكس" السرعة. كان الطريق الآن يخترق مباشرة بستان النخيل.

سألت "لورانس" وهي تعتدل:

– نجحت في إقناع "ميلشيور"؟

– نعم، لكنه كان عنيدا إلى حد ما. لكنه في الحقيقة شخص محترم وظريف.

ظلت "لورانس" حالمة. منذ حادث الملهى الليلي أحست بضيق نحو المخرج. وفي أعقاب ذلك تصرف كما لو لم يحدث شيء لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الإحساس بالندم لفكرة أن تستغل من جانبه بهذا الشكل السيئ. أخرجتها يد "أليكس" – التي وضعت على ذراعها – من حلمها.

– إنك صامتة.

– كنت أفكر في "ميلشيور". أتعتقد أنه يريدني؟

– يصعب قول هذا. إنه شخص معقد جدا وهذا ما لا يسوي علاقاته مع النساء.

اقتربت السيارة من المطار. قفز "أليكس" ببطء على الأرض وأمسك بحقيبته.

– أمامنا الوقت لعمل بعض الإجراءات ولنا مطلق الحرية بعد ذلك.

بعد مرور عدة دقائق وصلا إلى الطائرة – سيسنا – التي تقف أمام المرأب.

تعجبت "لورانس":

– إنها تبدو مثل اللعبة الجديدة!

– نعم، إنها لعبتي إلى حد ما وقدمتها لنفسي عندما – سمحت لي أجوري بشرائها.

بعد أن ساعد "لورانس" على الصعود إلى الكبينة. بدأ "أليكس" التشغيل ليتعرف على أدنى تشوه. نظرت إليه "لورانس" القلقة وهو يلمس بيد خبيرة كل أزرار اللوحة.

– هل تطير بمفردك منذ وقت طويل؟

– لماذا؟ أتخافين؟ (ضحك). اطمئني، لدي كل الشهادات الضرورية لذلك، ولدي مئات الساعات من الطيران خلفي.

عندما تأكد أن كل شيء منظم أدار المحرك. انطلقت الطائرة وزادت السرعة. مالت الطائرة على الجناح وبزاوية مائلة على مباني المطار التي تتوارى. أعاد "أليكس" التوازن إليها بثقة. كان الغطاء يلمع أمامهما في السماء الزرقاء.

أدار "أليكس" رأسه نحو "لورانس" المتوترة وابتسم لها:

– أتشعرين بالاطمئنان؟

أذعنت برمشة من جفونها وهي تبتسم له:

– والآن أيحق لي أن أعرف أين نحن؟

– سأمنحك يوما على شاطئ المحيط وفي مكان رائع.

لما كانا معا في هذه الطائرة كانت "لورانس" مضطربة فقط للطنين المنتظم للمحرك لكنها أحست بالسعادة والارتياح.

قال "أليكس":

– سنلحق بالشاطئ بعد ساعة تقريبا.

في وقت معين هبطت الطائرة على الأرض. كانت الحرارة بالخارج أعلى مما كانت عليه في "مراكش".

رمشت "لورانس" بعينيها بسبب الانعكاس الكبير للشمس. وراء حظائر الطائرات القديمة التي تحوي بعض الطائرات السياحية كان يلاحظ المكعبات البيضاء للقرية العربية التي تمتد حتى شاطئ البحر.

– نحن في "طرفاية". إنها الأكثر تكتلا بالجنوب على الشاطئ

الأطلنطي وفي الأسفل توجد الصحراء الإسبانية.

كانت المدينة الصغيرة- التي تغمرها الشمس- تبدو نائمة وغائصة في الرمل. كان سكانها يشعرون بالدهشة لوجود مثل هذين السائحين الأوربيين.

في مقهى مظلم تماما لا يظهر منه أي شيء طلبا شايا ليرويا ظمأهما وتناولا شرائح اللحم بشهية. بمجرد أن شبعا استأنفا طريقهما إلى البحر. كان الشاطئ الذي تصطدم به الصخور الكبيرة خاليا تماما.

تخلص "اليكس" من حقيبته التي سقطت تحت قدميه بضجة بسيطة، ثم جذب "لورانس" نحوه وبحث عن شفتيها. لكنها دفعته بيديها برقة وقد دهش لرد فعلها:

- ماذا هنا لك؟

نظرت نظرة توسل. أحس للحظة أنه رجع إلى الوراء أربع سنوات. وجد في نظرتها نفس النداء الصامت الممتزج بالخوف. تنهد وهو يبذل مجهودا للسيطرة على رغبته نحوها.

- أعتقد أنني سأستحم.

أدرك فجأة أنها أتت فارغة اليدين إلا من حقيبة صغيرة.

- لديك مايوه؟

- نعم، إنني أرتديه.

حتى لا يضايقها استدار حينما كانت تخلع ملابسها. بدون أن تنتظر جرت نحو الماء وغاصت. لحق بها وتركا نفسيهما للماء المنعش. لما كانت سعيدة مثل الطفل ضحكت ضحكة عالية.

- يا له من مكان رائع! أشعر بأننا بمفردنا في العالم. لابد أن هذه جنة الأرض، أليس كذلك؟

- كنت أعرف أنك ستعجبين به.

لما شعرا بالتعب من هذه المعركة الموجهة ضد الأمواج عادا معا نحو الشاطئ. تمددا إلى جانب بعضهما على ملاءة وكانا غير قادرين على الكلام وتركا الفرصة لأن يستعيدا أنفاسهما بشكل طبيعي. نظر

"اليكس" إليها نظرة فهمت مغزاها على الفور وحاول تقبيلها. تحركت قليلا وفتحت عينيها وجلست مضطربة ووضعت ركبتيها أمامها.

- يقال إنني أخيفك. كثيرا ما أسأل نفسي.

نظرت إليه نظرة سريعة. كانت تفضله ألف مرة هكذا مع شعره المتشابك وجسده الموحش كالحيوان. إنه لم يعد ممثلا أمام الكاميرا مع ذلك المكياج الثقيل الذي يخفف الصفاء الطبيعي لقسماته. إنه يبدو أكثر شبابا وأكثر جاذبية.

- لم تجب.

- لا أخاف منك أنت ولكن من نفسي.

- لا أفهم.

أخذت نفسا عميقا قبل أن تقول كما لو كانت قد ألقت بنفسها في الماء:

- ما يخيفني هو أن أقع في حبك...!

في هذه المرة أطلق ضحكة كبيرة.

- يا لهذه الفكرة العجيبة! إنها المرة الأولى التي أسمع فيها هذا.

قالت ببشاشة:

- بالطبع. لا أريد أن أكون جزءا من مجموعتك.

- يبدو لي أنك قلت لي هذا من قبل.

تراقص وميض ساخر في نظراتها.

- أعتقد أنني لن أتحمل فكرة أن تتسلى بي. ما الذي يثبت لي أنك تحبني حقيقة؟

استعاد جديته وبدا كأنه يفكر:

- الأمر مختلف معك.

- نعم، دائما ما يقال هذا.

- صدقي هذا أو لا فإنني أقسم لك أنني أخبرك بالحقيقة. لم أنس أبدا المراهقة التي أعلنت عن حبها بهذا الحماس. اعتقدت أنني لم أكن أستحقها طالما كنت صغيرة ومؤثرة في جسارتك البريئة. منذ أن رأيتك

www.rewity.com/vb

مرة ثانية أحسست بصدمة. لكنك تغيرت وبدوت تكرهينني بشدة!

أمسك بذقنها ليجبرها على النظر إليه.

– "لورانس"، إنني متأسف للغاية لما حدث. موت والدك كان حادثا. أردت فقط...

قاطعته وهي تكتم نحيبها الذي وصل إلى حلقها:

– أعلم.

سألت بشراسة مفاجئة كما لو كانت تسعى للإيذاء:

– و"مارجريت رينال"؟ هل نسيتها؟

كان "أليكس" هو الذي خفض عينيه في هذه المرة. رسم بأصبعه رسما غامضا على الرمل قبل أن يعترف.

– هذا صحيح. لقد أحببتها.

أحست "لورانس" بمعاناة بداخلها. كانت غيرتها كاملة ولا تطاق مثلما كانت في الماضي. قطع الصمت المطبق الذي كانا فيه.

– كنت تكرهينها، أليس كذلك؟

– أعلم أنني لم أخف هذا قط.

– على ما أتذكر أنك حكمت عليها بلا رأفة. كان يلزمني مزيد من الوقت لكي أكتشف أن نظرتك ثاقبة. هذه المرأة لها قلب من حجر وطموح.

– تخيف كثيرا.

لم يسع "أليكس" إلى إخفاء حزنه. هذا الاعتراف الذي انتزعته منه ملأها بلذة مضجرة.

– إذن لم تعد تراها ثانية؟

هز رأسه بالنفي:

– إنها قصة انتهت منذ فترة طويلة، وبعدها أصبح عشقي الوحيد لمهنتي والطائرة. لم تعد النساء إلا مجرد لذة أمنحها لنفسي عندما أرغب فيها بدون حب وبلا ندم. لقد صدمك هذا، أليس كذلك؟

كانت تضع ذراعها حول "أليكس" على كل إجابة وتمنحه شفتيها.

لقد استسلمت للمرة الأولى إلى النار التي تحترق بداخلها.

في الساعات التالية لم يشعرا بمرور الوقت بسبب هذه السعادة الجديدة التي ترفرف عليهما. بعد الحمام الأخير جففا نفسيهما تحت أشعة الشمس التي بدأت تغرب في الأفق.

فتح "أليكس" ترمس الشاي وشربا منه.

مع تناول الساندوتش الأخير تفحص السماء. هبت رياح قوية آتية من البحر وأصبحت الحرارة باردة.

– يجب أن نعود. لكن قبل العودة إلى "ميلشيور" سنحلق فوق الصحراء، يا له من منظر مدهش مع غروب الشمس!

قبل إقلاع الطائرة ارتدى "أليكس" قبعته وفتح الراديو. أعطى إلى متحدث غير مرئي إرشادات غير مفهومة لـ"لورانس". لاحظت باهتمام هيئته الجادة لدى استماعه إلى الصوت. ثم حرك المحرك بدون أي تعليق.

وضعت "لورانس" جبهتها على الزجاج الواقي للكبينة لكي ترى المنظر الذي يمتد مئات الأمتار أمامهما.

هز فجأة ثقب هواء الطائرة التي فقدت ارتفاعها بشدة.

رد "أليكس" على النظرة القلقة لـ"لورانس":

– إنه بسبب الرياح.

من جديد تسببت هزة عنيفة في زعزعة الطائرة. ألقى "أليكس" نظرة على مقياس الارتفاعات. جعلت الدوامة الطائرة التي اهتزت بشدة تهوي. بدأت "لورانس" تشعر بألم في قلبها. ارتأت "لورانس" غير المرتاحة أنه يستحسن أن يعودا مباشرة إلى "مراكش". لما مالت رأت الرمل تجذبه الزوبعة ويتصاعد في شكل لولبي. كانت الشمس التي تتوارى خلفهما تشبه فقاعة الصابون. أمسكت "لورانس" بمقعدها بكلتا يديها بينما كانت الطائرة تهتز ويبدو أن "أليكس" لا يستطيع التحكم فيها. كان يتفحص باستمرار لوحة التحكم، لكن مؤشرات الوضع كانت تهتز بسرعة وأصبح من الصعب متابعتها.

ضرب الراديو بعصبية لكي يحاول الاتصال، لكن الصرير غير

المسموع استجاب إليه.

لقد فقدت الطائرة ارتفاعها ولم يعد يمكن تمييز أي شيء بالخارج حيث إن هذه الضبابة الصفراء والمعتمة لا تتيح الرؤية.

سالت قطرات العرق على جبهة "أليكس".

– إننا في عاصفة رملية. لا تخافي، سنخرج منها.

لكن ابتسامته المقتضبة لم تطمئن "لورانس" التي رأت الأنوار الوامضة على لوحة التحكم مثل جرس الإنذار.

وفجأة بدأ المحرك يهتز بشدة وحجرة الطيار ترتج بشدة. وفجأة حدثت فجوة في الستار الأصفر. اتسعت عينا "لورانس" من الخوف حينما رأت كثيب الرمل الذي بدا لها مثل الجبل. فكرت مع تقلص الألم: "كم هي حماقة أن تموت هكذا". إن الكثبان الرملية دحرجت نحوهما عواصفها المدوخة. لكنها لم تتحرك أو تصرخ.

حينذاك مر بخاطرها وميض أسود. دمر نوع ما من الزلزال الكبينة واقتلع النوافذ وقذف الحديد على بعد مائة متر وأعقبه صمت الحجارة. هل مرت ثوان أو عصور؟ عندما فتحت "لورانس" عينيها كانت متشبثة بمقعدها في وسط حجرة الطيار المقتلعة. ارتعدت. كان الجو باردا جدا. كانت غير مصدقة لنفسها، وضغطت على أسنانها، وجالت بعينيها لتنظر ما حولها. رويدا رويدا اتضحت الفكرة بداخلها: حية! إنها لا تزال حية!

أدارت رأسها فجأة. "أليكس"! كان منحنيا وجبهته على مقبض القيادة. كان يبدو نائما. نائما أو... صاحت قائلة:

– "أليكس"! "أليكس"، "أليكس"!

هزته بقوة الإحباط الذي تشعر به لكن جسد الرجل بقي ساكنا.

بعد مجهود غير عادي استطاعت انتشاله من سجنه الحديدي وجعلته ينام على الرمل. كان قلبه ينبض. إنه لم يمت إذن. لم تستمر فرحتها كثيرا. لابد أن تستوضح الأمر. لم يستطع صوتها أو مداعباتها إخراجه من هذا السبات المميت. كان يغوص في نوبة.

جلست "لورانس" على الأرض وانفجرت في النحيب.

الفصل الحادي عشر

بمجرد أن انفتح الباب الأبيض كان الهجوم. طقطقت الفلاشات وانطلقت الأسئلة من كل جانب.

– من فضلكم يا سادة، القليل من التحشم!

استجاب الجميع لصوت الجراح. ساد الصمت وهرعت جموع الصحفيين إلى منتصف الصالة. لكن عندما نحوا من ورائه "ميلشيور" و"لورانس" عادت الضجة من جديد.

– كيف حال "اليكس أوبري"؟

– هل أجريت له عملية؟

صعقهم الطبيب من وراء نظارته بنظراته. لكن ابتعد ليخلي المكان لـ"ميلشيور" الذي مرر يده على وجهه الشاحب عدة مرات قبل أن يستأنف الكلام. وقد بدا عليه التعب تماما.

– إنني أتفهم فراغ صبركم لكنها الثانية صباحا. إنه ليس المكان ولا الوقت المناسب لعقد مؤتمر صحفي. سأعطيكم موعدا بالفندق في العاشرة صباحا هذا كل ما يمكنني قوله لكم الآن. عمتم مساء.

انطلق صوت:

– قل لنا على الأقل إذا ما كانت العملية نجحت أو لا.

بدون أن يجيب استدار المخرج ليتحدث مع الجراح و"لورانس" وانغلق الباب على ثلاثتهم.

ارتأى الصحفيون والمصورون أنهم لم يحصلوا على أي شيء وانسحبوا بدورهم وهبط صمت الليل على المستشفى.

*****

نظر الثلاثة إلى بعضهم عدة ثوان دون أن يتحدثوا. كانت علامات التعب واضحة على وجوههم.

قالت "لورانس" بحزن للجراح:

– أرجوك يا دكتور قل لنا الحقيقة.

– أخبرتك يا آنسة بأنه لا يمكنني الإعلان عن رأيي بعد. استغرقت العملية خمس ساعات. يجب أن ننتظر حتى يفيق. لقد فعلنا كل ما بوسعنا.

أحاط "ميلشيور" كتفي "لورانس" برقة:

– يجب أن تحاولي النوم. نحن جميعا في احتياج إليه، وغدا سنعرف كل شيء.

كان صوته محشرجا.

كان الليل وديعا ومرصعا بالنجوم عندما ركبا السيارة. غاصا في أفكارهما ولم يتبادلا أي كلمة. قاد "ميلشيور" بعصبية. لحسن الحظ كانت شوارع "كازبلانكا" في هذا الوقت خالية من المارة. أسندت "لورانس" رأسها إلى الزجاج البارد وأغمضت عينيها. لم يعد شيء مهما الآن. كانت السيارة تسير على شاطئ البحر والقمر ينقش نفسه على سطح الماء لكن لا "ميلشيور" ولا "لورانس" يعيرانه أدنى اهتمام.

لما وصل "ميلشيور" إلى الفندق فرمل بقوة وأوقف المحرك. كان صامتا دائما وينظر مباشرة أمامه وبدا جسمه يضعف فجأة. استدارت "لورانس" نحوه ولاحظت شحوبه غير الطبيعي والثنيتين العميقتين اللتين شدتا فمه إلى أسفل.

– "ميلشيور"، ألست على ما يرام؟

كان الرجل يشعر بسخرية:

– هذا السؤال! لا تتصوري أنه لابد أن أتزين أمام هذه الورطة!

لقد حذرته. لكنه ظن نفسه الأقوى كما هي العادة دائما! والآن... انهار على عجلة القيادة واهتزت كتفاه بالنحيب المكتوم. ظلت "لورانس" دهشة. إنها لم تفهم إذا كان يأس "ميلشيور" أساسه مصير "اليكس" أو مصير الفيلم. كل شيء أصابه الاضطراب في ذهنها: "إذا خار هو أيضا فمن أين يمكنني استلهام الشجاعة؟" لأول مرة منذ فترة طويلة فكرت في أمها. بعد كل هذه الساعات التي لم يحسب فيها

شيء عليها إلا رغبتها في الإنقاذ. إنها تشعر بأنها بائسة ومستسلمة مثل الطفل الصغير إلى الأسى.

تملكها الغضب فجأة أمام الجسد الكبير الذي يتحرك بسبب التشنجات. أمسكت بمعطف "ميلشيور":

– توقف! توقف! هذا يكفي!

نظر إليها نظرة شاردة ثم صاح فجأة:

– كل هذا بسبب خطئك أنت.

رمشت جفون الفتاة وبدا أن كل الدم ينسحب من وجهها وصاحت:

– إنك جبان وغير قادر على الاضطلاع بمسؤولياتك. من السهل أن تتهم الآخرين. ألا تخجل من هذا؟ هناك رجل يتصارع مع الموت وأنت... أنت.

فاضت عيناها بالدموع وهي غير قادرة على المتابعة. حاولت أن تفتح مقبض الباب لكنه أمسك بيدها وقال بصوت منخفض:

– عفوا، لم أعرف ماذا قلت. سامحيني.

مسحت عينيها بظهر يدها ورأت في نظراته نفس حزنها. قال لها ببساطة:

– هيا بنا لننام.

أحست بأنها في حالة لا تسمح لها بمتابعة هذا الحوار غير المجدي.

*****

على الرغم من حيرتها الشديدة تقلبت "لورانس" في سريرها وهي تبحث عن النوم بلا جدوى. في كل مرة تنام فيها كان يوقظها مرتجفة نفس الكابوس. كان لابد أن يضاء الضوء لطرد الصور المخيفة. كان الكابوس هو نفسه: "اليكس" يشير لها بالاقتراب وهو يبتسم، لكن في اللحظة التي تمد فيها يدها لتلمسه فإنها لا ترى سوى الفراغ، وحينذاك تشعر بأنها سقطت في هوة عميقة.

كانت تريد أن تصرخ لكن لم يكن يخرج من حلقها أي صوت.

نامت متكسرة مع قرب الفجر.

هذا الهدوء كان قصير الأجل. عصر الهلع من الواقع قلبها لدى استيقاظها. لكن لم يكن لديها الوقت لان تتوقف مليا عند حزنها. على الرغم من ألم رأسها الشديد استحال عليها أن تتخلص من أسر المؤتمر الصحفي الذي طلب "ميلشيور" منها المشاركة فيه.

إنها لم تعرف قط كيف عثرت على وسيلة لوضع مكياجها وارتداء الملابس التي وقعت تحت يدها.

دخلا في الساعة المحددة صالون استقبال الفندق الذي كانت واجهته الكبرى تطل على البحر.

ظهر الاثنان شاحبين ومنكسرين تحت الضوء الفظ للكشافات الموضوعة من أجل احتياجات التليفزيون. لكن "ميلشيور" أخذ وقته في حلق ذقنه وتغيير ملابسه. ساد الصمت بعد الجلبة التي سبقت حضورهما.

قال "ميلشيور" بصوت قوي:

– سيداتي وسادتي نحن تحت أمركم للرد على استفساراتكم.

دوى السؤال الأول في منتصف الصالة:

– ما آخر أخبار الحالة الصحية لـ"اليكس أوبري"؟

– إنه على خير ما يرام بالنسبة لما نعرفه الآن. لقد أجريت له عملية طويلة لكنه حتى الآن لم يسترد وعيه.

– ما طبيعة جروحه؟

– طالما حصلت على إذن من الأطباء فإني أخبركم بأنه يعاني كسرا بالجمجمة.

– عندما وقعت هذه الحادثة هل كان على سطح طائرته الشخصية؟

قبض "ميلشيور" على فكيه لكنه أجاب بنبرة عادية:

– نعم.

توالت الأسئلة في نفس الوقت وهذا ما سبب ارتباكا. عندما عاد الهدوء مرة أخرى ارتفع صوت امرأة:

– هل تفكر في استئناف تصوير فيلمك مع "اليكس أوبري" أو مع نجم آخر؟ أو أنك ستتخلى نهائيا عن هذا الفيلم؟

– لا يمكنني الرد على هذا السؤال. الفيلم متوقف الآن. على جهة الإنتاج أن تتخذ القرار الذي تنويه بشأن ما تبقى.

– هل سيعود "اليكس أوبري" إلى "فرنسا"؟

– لا يمكن التفكير في هذا الآن. يوجد هنا فريق طبي رائع، وأريد أن أطمئنكم أنه بين أيد أمينة.

– هل صحيح أنه مغرم بشريكته في الفيلم "لورا لاركوي".

استدار "ميلشيور" نحو "لورانس" الذي كان وجهها شاحبا.

– لا أرى في هذا شيئا يهمك. إن هذا في مجال حياتنا الخاصة.

– هل صحيح أنك كنت متواجدة معه في الطائرة؟

– نعم.

– ماذا حدث؟ أيوجد خطأ في الطيران؟

– لا أعتقد. كنا نحلق فوق الصحراء. هبت عاصفة رملية و... و...

لم تستطع "لورانس" تكملة جملتها وأخفت وجهها بين يديها.

نهض "ميلشيور" وصاح بغضب:

– ألا ترون أنها منهكة القوى؟

– الآنسة "لاركوي"، أيمكن أن تخبرينا كيف تم إنقاذك أنت ورفيقك؟

أخذت "لورانس" نفسا عميقا قبل أن تجيب بصوت متقطع:

– عندما رأيت أنه لا يتحرك غطيته بكل شيء أمكنني جمعه من حطام الطائرة، وانتظرت طلوع النهار. كان الجو باردا للغاية، لكن الأسوأ هو هذا العطش. لم يكن لدينا أي شيء نشربه. في الصباح جمعت الندى الذي تراكم على ما تبقى من الجناحين ودسست بضع قطرات بين شفتيه.

ارتفعت همهمة إعجاب بين الحاضرين. أسدلت "لورانس" جفونها

وواصلت حديثها:

– لم أجرؤ على تركه للبحث عن النجدة. لم أكن أعرف بتاتا مكاننا، ولم يكن هناك إلا الرمل والكثبان الرملية على مرمى البصر ثم...

توقفت كما لو كانت قد وجدت صعوبة في التذكر. في هذه المرة توقفت الأنفاس لحظات وانتظر الجميع في صمت.

– ... ثم حدثت المعجزة. نعم المعجزة! كان البدو يمرون بجمالهم بالقرب منا. إنهم من أبلغوا. إنني أدين إلى هؤلاء البدو العرب بالامتنان والعرفان. إذا كنا لا نزال على قيد الحياة فهذابفضل الله وبفضلهم. بعد مرور عدة ساعات هبطت هليوكوبتر بالقرب منا. وباقي القصة تعرفونها أنتم.

لم يتحرك أحد طوال هذه اللحظات. كان كل المساعدين مندهشين من كرامة الفتاة. لقد نجح شكلها النحيف وجمالها الأخاذ– على الرغم من قسماتها المشدودة– في قهر فضول الصحفيين الذين نزحوا من كل مكان بمجرد أن شاع خبر الحادثة.

عندما أحس "ميلشيور" أن ردوده هو و"لورانس" أشبعت فضولهم نهض واقفا وأشار إلى انتهاء المؤتمر.

*****

لقد كانا ساذجين لأن يعتقدا أنهما تخلصا منهم بسهولة، حينما كانت "لورانس" تستعد لدخول حجرتها سمعت من يناديها:

– الآنسة "لاركوي"!

خرج شاب ذو شعر طويل من الجانب المظلم الذي كان مختفيا فيه واقترب منها وهو يبتسم ابتسامة مشرقة:

– أيمكن أن نتحدث عدة دقائق؟

جحظت عيناها بشدة وبحيرة:

– من أنت؟

– إنني صحفي من "باريس ديمانش" ومتأكد أنه يمكن أن نثرثر معا.

صعقته بنظرة. إنها تعرف سمعة هذه الجريدة التي أعلن عنها:

– دعني وشأني، لقد قلت ما يمكنني قوله.

– لا تغضبي. إنني لا أفعل شيئا سوى ممارسة مهنتي.

رفعت كتفيها دون أن تجيب. لكن عندما أرادت إغلاق الباب وضع قدمه بحركة سريعة أمام فتحة الباب ليمنعها من إغلاقه.

صاحت الفتاة الغاضبة:

– إذا استمررت على هذا فإنني سأستدعي كل الفندق!

تراجع ولكن ابتسامته كانت قد اختفت.

– كما تشائين. على أية حال ساكتب تحقيقي. إن سوء فهم بسيط منك كان سينظم أمورا كثيرة.

– يا لك من فظ!

أغلقت الباب بكل قوتها واستندت إليه. إن هذه الوقاحة جعلتها متضايقة تماما. "النذل"! عضت قبضتها لتكتم الأنين الذي وصل إلى شفتيها وألقت بنفسها بعد ذلك على سريرها. "يا للكوميديا المأساوية! وهذا الكائن البشع الذي سيكتب أي شيء ويدنس كل ما هو جميل!".

أغمضت عينيها واستعادت لحظات السعادة الجميلة التي عايشتها بجانب "اليكس". هذا اليوم الرائع على الشاطئ حيث ظنا نفسيهما بمفردهما في الدنيا. شعرت بالألم عند تذكرها هذه المودة القصيرة جدا. "لا تقلقي يا أمي، ساكون قوية!" هذا الوعد الذي أبدته إلى أمها عاد إلى ذاكرتها. كيف أمكنها توقع أن تتحول الأمور هكذا؟

قفزت على سريرها ورفعت سماعة التليفون لتتصل بالاستقبال.

– أريد مكالمة لـ"باريس".

عندما أعطت الرقم انتظرت في الغرفة وهي تتجول مثل الحيوان في القفص. بمجرد أن دوى الجرس هرعت إلى التليفون.

– ألو! أمي؟ إنني سعيدة لأنني سمعت صوتك! إذا عرفت...

انكسر صوتها فجاة، ثم استانفت بنبرة قوية:

– هلا علمت بالأمر! آه، نعم أؤكد لك أنني بخير. إنها معجزة أنني خرجت منها هكذا.

– ...

– أوه يا أمي! كفي عن النحيب أرجوك.

– ...

– لا، لا يمكنني العودة. ليس الآن. "أليكس" في المستشفى. ولا أعلم كم من الوقت سيبقى هناك. يجب أن أكون بالقرب منه.

– ...

– اسمعي، لا يمكنني محادثتك هكذا في التليفون... هذا صعب. افهميني...

– ....

– هل هذا صحيح؟ نعم، سأكون هناك. سانتظرك!

أغلقت السماعة وهي تطلق تنهيدة كبيرة. بدون أن تتردد ثانية قررت أمها القدوم لتلحق بها. لأول مرة منذ أن عاشت هذا الكابوس المرعب تشعر ببعض المواساة. يجب الآن– دون أن تضيع ثانية أن تذهب إلى المستشفى. قبل أن تترك حجرتها راعت أن تحيط رأسها بوشاح وترتدي نظارة سوداء كبيرة. بهذه الحيلة يمكنها أن تمر دون أن يلاحظها أحد. ألقت نظرة إلى الخارج لكن الرواق كان خاليا. قالت في قرارة نفسها بارتياح: "هذا الشخص القذر هرب".

✿✿✿✿✿

في التاكسي الذي كان يهرع بسرعة كبيرة في الشوارع حاولت أن تخفي فارغ صبرها بالانهماك في تأمل الشوارع الفرعية العريضة والمحاطة بناطحات السحاب التي تعطي المدينة طابعا أمريكيا. لاحظت أن أغلبية الناس يرتدون ملابسهم على الطريقة الأوربية.

إن وجود النساء اللواتي يرتدين الأخمرة تذكر فقط أنهن يعشن في

مدينة عربية. ارتاث "لورانس" أنها لا تحب "كازابلانكا".

بمجرد أن عبرت باب المستشفى شعرت بالقلق يختنقها من جديد. أسرعت الخطى كما لو كانت كل ثانية تقربها من "أليكس" أصبحت أساسية.

رأت من بعيد أمام باب الحجرة التي يرقد فيها أناس. بدأ قلبها ينبض بشدة عندما تعرفت على الجراح الذي أجرى العملية لـ"أليكس" سألت وهي تكتم أنفاسها:

– كيف حاله يا دكتور؟

– فتح عينيه لكن لا يزال ضعيفا جدا.

لقد فتح عينيه! هذا يعني أنه استعاد وعيه. كادت "لورانس" تقع من الفرحة. وتقفز على عنق الجراح.

– العملية نجحت إذن؟

– ما زال الوقت مبكرا على قول هذا: إنه لم يتكلم بعد.

اكفهر وجه "لورانس" التي كانت قد آمنت مبكرا بالمعجزة. تفرست الممرضات بفضول في هذه المرأة الأنيقة التي تحتفظ بسرها وراء النظارة السوداء.

– أيمكنني الدخول؟

تردد الجراح:

– إذا وعدتني ببقائه هادئا وألا تتحدثي إليه. لا يجب أن يتحرك.

– اعتمد علي يا دكتور.

دخلت الغرفة ولم تر أولا شيئا إلا الأبيض. اقتربت من السرير بلا ضجة. تأملت– والدموع على حافة جفونها– هذا الجسد الساكن أمامها. كان رأس "أليكس" ملفوفا بالضمادات. عضت شفتها حتى لا تبكي بالفعل. هل يمكن أن يكون هذا الميت الحي هو الرجل الذي أحبته بكل كيانها؟ هذا الذي قبلها؟ أهو الذي همس في أذنيها بالكلمات التي قلبتها؟ في أي عالم مخيف يتأرجح هذا الرجل وراء جفونه المغلقة؟

على الرغم من وعدها مالت على الوجه الغائب وكررت:

– "أليكس".. "أليكس".

ارتفعت الجفون، لكن الحدقتين الزرقاوين كانتا بلا أي تعبير.

جلست "لورانس" المتحيرة إلى جانب السرير ونزعت وشاحها وأطلقت ضفائرها التي انسدلت على كتفيها. بدا لها حينذاك أن "أليكس" يدير رأسه في اتجاهها. نعم إنه ينظر إليها في هذه المرة. بدأ قلبها ينبض في صدرها من جديد. وضعت يدها برقة على صدر المريض وغاصت عيناها في عينيه في استفهام صامت. كانت تريد أن تصرخ وتصيح وتوقظ هذا المخ الحزين!

سيطرت على فراغ صبرها وتقلصت أصابعها على الملاءة. هل أدرك هذا الضغط الخفيف؟ تحركت شفتاه.

قربت وجهها أكثر وترقبت أدنى نفس يعبر هاتين الشفتين غير الملونتين. في الحقيقة نطقت شفتاه بشيء حاولت "لورانس" معه أن تفك شفرته.

همست "لورانس":

– "أليكس"، إنني لا أفهم.

اعتدلت فجأة لأن الممرضة دخلت بلا ضجة وضبطت عمود المحاليل المعلق أعلى السرير.

سألت الممرضة "لورانس" بصوت منخفض:

– ستبقين لحظة إلى جواره؟

أشارت "لورانس" إشارة موافقة برأسها:

– إذن راعي ألا يأتي أحد لإزعاجه. كان لابد أن نطرد المصورين الذين يطمحون إلى التقاط الصور.

ارتاب "لورانس" بمرارة أن فدية الشهرة غالية جدا. "إذا عادوا فسيجدون من يحدثهم وسأقتلع عيونهم إذا لزم الأمر".

بعد رحيل الممرضة عاودت قلقها على "أليكس" الذي كان قد أغلق عينيه من جديد. وضعت قبلة خفيفة على الفم الفاتر.

في هذه المرة كانت متأكدة أنه تحرك. لا يجب أن تجعل شرارة الحياة هذه تفلت منها.

نادته برقة: "إنه يسمعني، لقد ارتاب هذا عندما فتح عينيه.

– "أليكس": إنني هنا، أيمكنك محادثتي؟

تحرك رأس "أليكس" كما لو كان يبدي موافقته. لقد تحركت يده تحت الملاءة. من الواضح أنه يريد قول شيء.

شجعته قائلة:

– إنني متأكدة أنه يمكنك التحدث.

ابتلع ريقه بصعوبة. نظرت "لورانس" الدهشة إلى فمه الذي حاول أن ينطق بشيء ما.

– أين مكاني الآن؟

صاحت "لورانس" من الفرحة: "ها هو قد تكلم!"

– إنك في المستشفى.

كرر بصوت غير مسموع كما لو كان لا يفهم معنى هذه الكلمة:

– في المستشفى.

حرك رأسه يمينا ويسارا على الوسادة. تركزت نظراته من جديد على "لورانس".

– من... أنت؟

تسمرت مكانها واضطربت وحاولت أن تبتسم:

– أنا "لورانس".

– "لورانس"...

أغمض عينيه كما لو كان يسترجع.

قالت مصرة:

– إنك تعرفني، أليس كذلك؟

دار الرأس من جديد يمينا ويسارا.

– ... لا.

– مستحيل! أوه! أرجوك يا "أليكس"، حاول!

أغمض عينيه من التعب ولم يتحرك ثانية.

نهضت "لورانس" والحيرة تبدو على وجهها. أحست بان همّا يثقل على صدرها. أسرعت كالمجنونة خارج المستشفى بدون أن تعرف إلى أين تذهب. سالت الدموع على خديها ولم تر "ميلشيور" الذي كان يسير في اتجاهها. لما كان قلقا من رؤيتها في هذه الحالة أسرع نحوها:

– "لورانس"! ماذا حدث؟

انهارت على صدره وهي تنتحب بشدة.

– "اليكس"، هذا فظيع!

– ماذا جرى له؟ لن...؟

– أوه يا "فيليب"، هذا فظيع! أعتقد أنه فقد الذاكرة.

الفصل الثاني عشر

من أعلى شرفة محطة الطيران رأت "لورانس" الطائرة بوينج ٧٢٧ للخطوط الملكية المغربية تهبط في مكانها المحدد. تم تركيب سلم الركاب وانفتح باب كبينة القيادة. في خلال عدة دقائق عشرت على أمها. في هذه اللحظة بالذات لم تعرف جيدا إذا كانت سعيدة أو لا. بدا لها أنها تركتها منذ سنوات كثيرة.

– عزيزتي، أخيرا!

بعد أن عبرت الكونتيسة "دي كايلر" الجمرك احتضنت ابنتها بين ذراعيها ووجدت صعوبة في إخفاء انفعالها. لم تشعر "لورانس" مع ابتسامتها الباهتة بأنها قوية تماما. دون أن تقول كلمة واحدة ارتمت في أحضانها وكأنها الغريق الذي تعلق بقشة. ثم تراجعت خطوة وقالت بدهشة:

– كم يناسبك هذا التايير! إنه يجعلك شابة في العشرين من عمرها.

إنها لم تلاحظ قط أن وجه أمها ناعم مع شعرها الرمادي. مع هذا الطقم الرائع بدت السيدة "دي كايلر" في سن أقل من سنها بالفعل. أدركت "لورانس" فجاة ما غيرها هكذا: إنها المرة الأولى منذ سنوات طويلة التي تراها فيها بعد أن تخلصت من ملابس الحداد السوداء. كان هناك أيضا بعض البودرة التي تحمر خديها. قبلت أمها مرة أخرى.

– هيا. سأصطحبك إلى مكان إقامتي. سنكون هناك أكثر هدوءا.

– مكان إقامتك؟ لكنني ظننتك تقيمين بفندق.

– أوه! لدي ما يكفي. حتى الفاخرة منها يتضايق المرء منها. بما أنني لا أعرف كم من الوقت سابقى هنا فإنني فضلت تاجير فيلا.

احمرت وجنتا السيدة "دي كايلر" لدى سماعها هذا الكلام، لكنها لم تجرؤ على التعبير عما يحزنها. في أثناء ما كانت "لورانس" مهتمة بالحقائب كانت أمها تتأملها بالتفصيل: لقد نقص وزنها ويبدو التعب عليها.

كانت الڤيلا تقع أعلى "أنفا" – ذلك الحي الرئيسي بـ"كازابلانكا" – وأمام البحر وكانت تشبه المكعب الأبيض الكبير. إن النوافذ التي تطل على الشارع صغيرة كما لو كانت تحتمي من النظرات، كما إنها محمية بأسوجة من الحديد. عندما دخلا الصالون الغارق في الضوء استدارت الكونتيسة نحو ابنتها بذهول:

– يا للمكان الرائع! وبالهذا المنظر!

ثم أضافت بنوع من اللوم في صوتها:

– لابد أنها كلفتك ثروة!

لم تستطع "لورانس" أن تمنع نفسها من الضحك.

– أنت وحسك الاقتصادي. إنك لن تتغيري أبدا!

قالت مفسرة برقة:

– لا تقلقي، إنها جزء من مصاريف الإنتاج.

حينما ذهبت السيدة "دي كايلر" إلى المطبخ لإعداد الشاي تفحصت المكان بترقب شديد. كانت الحجرة التي تتواجد بها لها منفذ على الحديقة الزاخرة بالنباتات والزهور التي تتدلى على الشرفات المتوالية حتى الجزء المطل على البحر. كان الصالون مؤثثا بمقعد كبير ومغطى بالنسيج الأبيض. بالقرب من المدخل كانت توجد باقة كبيرة من الزهور مختلفة الألوان.

كانت "لورانس" قد عادت ووضعت قدحين على صينية من النحاس.

سألت السيدة "دي كايلر" بصوت غير مطمئن:

– آمل ألا يزعجك وصولي؟

فتحت "لورانس" عينيها بشكل مثير للدهشة.

– يا لها من فكرة! اجلسي إذن وخذي كوب الشاي هذا. إنني متأكدة أنه لابد أنك تموتين من العطش.

نظرت إلى أمها وهي تدير الملعقة في الشاي كما لو كانت هذه العملية تتطلب رعايتها تماما.

– يقال إن هناك شيئا ما يكدرك.

تنهدت أمها تنهيدة كبيرة:

– إنه ليس شيئا ما هو الذي يكدرني، بل أنت.

قالت "لورانس" في قرارة نفسها: "ها نحن قد وصلنا إلى هذه النقطة". إنها لا تشعر بأنها تمتلك الشجاعة لسماع التحيب.

وضعت السيدة "دي كايلر" كوبها وتفحصت حقيبتها وأخرجت منها ورقة جريدة مثنية إلى أربعة أجزاء وأعطتها إلى "لورانس".

– ما هذه؟

– اقرئيها وستعرفين.

فردت الفتاة ورقة الجريدة وقرأت هذا العنوان المكتوب ببنط عريض: "أليكس أوبري" كاد يفقد حياته بسبب الحب". ثم ألقتها بعصبية في الجانب الآخر من الغرفة وسألت ببرود:

– منذ متى تقرئين هذه النوعية من المسحة؟

– لكن يا ابنتي لا يبدو أنك تفهمينها. الجرائد مليئة في "باريس" بهذه القصة. في الأكشاك توجد أفيشات بعناوين كبيرة. أما بخصوص هذا المقال فـ...

رفعت الكونتيسة عينيها إلى السماء وهي تضم يديها. ابتلعت "لورانس" ريقها بصعوبة وبذلت قصارى جهدها لتحتفظ بهدوئها. إنها لا تعرف ما يضايقها كثيرا: السحنة المشينة لأمها أو أن تكون عرضة للشبهة– مع "أليكس" – أمام أناس منهومين إلى المشاعر. تذكرت حينذاك السحنة غير المثيرة للعطف لذلك الشخص الذي يقول عن نفسه إنه صحفي، حينما حاول أن يجري معها مقابلة. "النذل! لقد نفذ كلامه! لم يأخذ وقتا طويلا في الثأر لنفسه!".

أفرغت كوبها وقالت بصوت مرتعد:

– لا يجب أن تهتمي كثيرا بمثل هذه الترهات لشخص حقير.

تنهدت السيدة "دي كايلر":

– كيف حال... "أليكس"؟

لقد ترددت في نطق هذا الاسم الذي يبدو أنه يشق على شفتيها.

اضطربت قسمات "لورانس" وأدارت عينيها.

– نجحت العملية التي أجريت له، لكنه لا يزال ضعيفا ولابد أن يستريح عدة أسابيع. إنه لا يتذكر شيئا مما قد سبق الحادث. ينتابني إحساس بأنني لا أتواجد في عينيه. ومع ذلك!

توقفت وبدا أنها تضغط على نفسها. كانت معاناتها ترتسم على وجهها.

– يا ابنتي الحبيبة هل تحبينه كثيرا؟

– أكثر من أي شيء في العالم كله.

هزت السيدة "دي كايلر" رأسها بحزن. كان واضحا أن كل محاولة لتعقيل "لورانس" محكوم عليها بالفشل.

– ألا يوجد أي أمل؟

– يصعب قول هذا. يعتقد الأطباء أن الصدمة الانفعالية فقط يمكنها أن تعيد إليه الذاكرة وإلا...

ساد الصمت عدة دقائق. وصل إلى مسامعهما من النافذة المفتوحة النغمات المؤثرة للموسيقى العربية. اخترق تيار هوائي خفيف الستائر.

رفعت "لورانس" وجهها العازم نحو أمها.

– سأبقى هنا بالقدر الذي تفرضه الظروف. كل ما سيمكنني عمله سأقوم به. إنني أرفض الاعتقاد بأن السعادة التي شهدناها معا– حتى ولو لبعض الوقت– تلاشت. لا، هذا مستحيل...

قالت هذه الكلمات الأخيرة بقوة كما لو كانت تسعى إلى إقناع نفسها. تركتها أمها تكمل حوارها.

– الجميع حتى "ميلشيور" يعتقدون أنه لا أمل في شفائه، وأن عمله بمهنة التشميل محل شك. أما أنا فلن أتركه يسقط أبدا.

كما لو كانت أفكارها تحملها بعيدا إلى مكان ما فإنها كانت تتابع في السماء سباق السحاب الذي ينسل.

غمرت موجة تأثر السيدة "دي كايلر" وهي تتأمل آثار الحزن المطبوعة على هذا الوجه الهزيل. كانت هناك نار مضطرمة في العينين الداكنتين،

حتى إن الليالي التي بلا نوم تركت آثارها عليهما.

نهضت وبدأت تجول في الغرفة واستسلمت لمعركة المشاعر المتناقضة بداخلها. قالت والحيرة تتملك من نفسها: هذه الصغيرة منهكة للغاية. يجب حتما عمل شيء وإلا ستغرق...

وفجأة، كما لو جالت فكرة مضيئة بذهنها، خرجت من الصالون بسرعة. سمعتها "لورانس" تفتح وتغلق أبوابا. قبل أن تتاح لها فرصة فهم سبب هذا الاضطراب المفاجئ عادت أمها بالقرب منها.

استفهمت بحيوية:

– "أليكس" في المستشفى دائما؟

– نعم.

– أتعتقدين أنها ستكون فكرة طيبة لأن نعرض عليه المجيء إلى هنا لتكملة فترة نقاهته حتى لا يكون بمفرده؟

اتسعت عينا "لورانس" بدهشة وسألت نفسها عما إذا كانت قد سمعت جيدا.

– لكنني كنت أعتقد أنك...

بدا وجهها مشرقا للحظة لكنه استعاد تقطيبه وهمست بصوت مكتئب:

– لا أعلم، لقد أصبح غريبا جدا. إن ردود أفعاله غير واضحة.

– إنني أثق بحدسك. ستعرفين إيجاد الحجج التي تناسبه.

لما أحست السيدة "دي كايلر" أنها أكملت واجبها غيرت الموضوع:

– يبدو أن المدينة شاعرية جدا. كنت أود زيارتها معك.

الخاتمة

استيقظت "لورانس" على صوت ضجة مفزعة. لم تجرؤ على إضاءة الأنوار حتى لا تزعج أمها التي كانت تسمع صوت أنفاسها المنتظمة. انتظرت وكانت كل حواسها متأججة. لا شك في أن هناك من يتحرك في الحجرة المجاورة. نظرت إلى المنبه الذي كانت عقاربه تشير إلى "الرابعة"! لكن ماذا يمكن أن يفعل في منتصف الليل؟ ترددت. "ربما يحتاج إلى شيء ما. لابد أن أذهب لأراه".

حاولت ألا توقظ النائمة ونهضت بحرص ودلفت إلى الرواق بخطى حذره.

من تحت باب الحجرة التي يشغلها "أليكس" كان يشع وميض من الضوء. في ظل الصمت المخيم لم تعد تسمع شيئا. مر الوقت وانفتح الباب.

همس "أليكس" وقد قطب حاجبيه:

– ماذا تفعلين هنا؟ لابد أن تكوني نائمة.

كان يبدو تعيسا. لكن "لورانس" لم تعره أي اهتمام. إن ما رأته خلفه جعلها تتسمر في مكانها. على السرير غير المرتب كانت توجد حقيبة شبه مليئة بالملابس. لقد فهمت كل شيء في لمح البصر. دون أن يقول أي شيء لأحد كان قد عزم على ترك هذا الملاذ الهادئ الذي يأويه منذ ثلاثة أسابيع.

دهشت "لورانس" وقالت بصوت عال:

– لن تفعل هذا!

– صه! لا تتحدثي بصوت عال. ستوقظين أمك.

أمسك بذراعها وجذبها إلى داخل الغرفة ولم تفكر "لورانس" في مقاومته.

– كان يجدر بك أن تخبرنا بقرارك. هذا... سوء تصرف. ثم إنك في حالة لا تسمح بالرحيل!

عضت شفتها حتى لا تظهر أنها ترتعد. مرر "أليكس" يده بعصبية في شعره الذي حُلق من أجل العملية لكنه عاود نموه. كان يبدو عائما في البيجاما التي يرتديها. قال بحيرة:

– لا أعتقد أن هذا الوقت مناسب لبدء مناقشة.

– لكن يحق لي مع ذلك أن أطلب تفسيرا. لا أنوي الذهاب للنوم مرة أخرى دون ذلك.

قالت في قرارة نفسها: انتهى الأمر هكذا، لابد أن أتصرف بسذاجة على أمل أن تحدث المعجزة". أحاطها "أليكس" بهذه النظرة الخالية من أي تعبير والتي تخيفها كثيرا. قال لها:

– لنذهب إلى الخارج إذن حيث سنكون هادئين بشكل أفضل. لكن قبل أن يدفعها أمامه ألقى عليها "الروب".

مرا في صمت أمام حجرة السيدة "دي كايلر" النائمة ثم عبرا الصالون. كانت "لورانس" تتحرك مثل الإنسان الآلي. فقط كانت الغريزة تمنعها من الاصطدام بقطع الأثاث أو التعثر بأية عقبة.

كان الجو رطبا ووديعا بالشرفة بالخارج. تحت قدميها العاريتين أحست ببرود البلاط وهذا ما جعلها تدرك الحقيقة.

– اجلسي إذن، لا يمكن أن تبقي واقفة.

ارتعدت من هذا الصوت الرنان. لكنها أدركت أنه لن يسمعهما أحد في مكانهما هذا.

– ما الذي حدث لك يا "أليكس" فجأة؟ لماذا اتخذت هذا القرار البشع دون أن تتحدث عنه قبل ذلك؟

تجاهل سؤالها وسألها بدوره:

– ألديك أي شيء نشربه؟

– في هذه الساعة؟ ماذا تريد؟

– شرابا.

على الرغم من غرابة هذه الأمنية فإنها لم تتوان في النقاش وأحضرت الشراب الذي صبه بنفسه. تابعت حركاته وتساءلت بقلق عما يجب

ان تتحمله وإذا ما كانت قادرة عليه أم لا. أعطاها "اليكس" كوبا نصف مملوء.

اعترضت قائلة:

– لا أريد أن أشرب.

– اشربي. هذا لن يضرك... لو سمحت.

كان يبدو هادئا ووديعا تقريبا. أمسكت الكأس بيد مرتعدة وأرجعت رأسها إلى الخلف.

قالت في قرارة نفسها بمرارة: "ها نحن جالسان إلى جانب بعضنا كما لو كان طبيعيا أن نتناقش والكأس بيد في منتصف الليل. هذا مضحك".

شرب عدة رشفات وهو غير مكترث بوجودها ثم قال فجأة:

– "لورانس"، يجب أن أرحل.

لما رأى أنها ظلت بلا رد فعل واصل حديثه بهذه النبرة المملة التي أصبحت معتادة بالنسبة له منذ الحادثة.

– إنني ممتن لك ولوالدتك ولكرم ضيافتك، لكن هذا لا يمكن أن يستمر. لابد... لابد أن أعود إلى "باريس".

– "باريس"؟ لماذا؟

بزغت صرختها مثل الشكوى.

ثار "اليكس" الذي كان هادئا حتى الآن. بدا أنه توتر كما لو كان فريسة لانفعال شديد قبل أن يقول:

– لم يعد يمكنني. لا تتضايقي مني لقول هذا. ليس لك دخل بهذا، لكنني أحس في كل خطوة بأنني ارتطم بالجدران.

كشر "اليكس" وأضاف:

– لا أفهم ما حدث لي. إنه غير مفهوم. آه لو تعلمين كم هو موحش!

وجه ضربة قوية إلى المسند الخشبي. لما خافت من حالة الهيجان المفاجئة التي يتواجد عليها قالت له متوسلة:

– اهدأ يا "اليكس". لا يجب التصرف هكذا!

نهض وبدأ يسير بشكل دائري مثل المجنون في الشرفة.

– اهدأ! من السهل قول هذا! لا يمكنك بالتأكيد أن تعرفي ما يمكن أن يشعر به المرء عندما يفلت جزء من حياته. لا شيء له معنى. إنني مثل الميت. ميت! ميت! أتفهمين؟

كانت علامات المعاناة ترتسم على وجهه في ظل ضوء القمر. لم تستطع "لورانس" أن تتحمل المزيد ووارت وجهها في ذراعها المثنية.

توقف دهشا:

– لماذا تبكين؟

– لأنني أحبك. ولا يمكنني أن أفعل شيئا لك. ولأنك كنت تحبني ونسيت ذلك.

– هذا ضرب من الجنون.

سألته بصوت متقطع من البكاء:

– لكن ماذا تؤمل أن تجده في "فرنسا" ولم تجده هنا؟

– لدي على الأقل مهنة. أما هنا فإنني مجرد إنسان هائم بلا هدف، ألقى العناية مثل الطفل من قبل سيدتين.

صاح فجأة:

– إنني أختنق بينكما أنتما الاثنتين! إذا بقيت فإنني أشعر بأنني سأفقأ عيني.

أرادت "لورانس" أن تسد أذنيها حتى لا تسمع هذه الكلمات. نهضت وخطت خطوات وهي تترنح. لم تعد تشعر بخشونة الأرض تحت قدميها العاريتين، ولا برود النسمة التي ملأت قميص نومها. بدأت تجري أمامها وهي لا تسمع نداء أمها التي استيقظت من نومها على الصوت العالي القادم من الشرفة.

– "لورانس"! ارجعي.

جرت بأقصى سرعة لها وتعلقت أشواك الصبار بملابسها لكنها لم تبال بذلك. لم يكن يدور برأسها إلا لجة سوداء تفني فيها كل فكرة. كانت توجد جلبة من الركض وراءها وصرخات كبيرة. لا شيء في

العالم يمكن أن يمنعها من متابعة هذا النداء الآتي من الاضطرابات العميقة التي عتمت ذهنها.

رأتها أمها و"أليكس" اللذان يجريان وراءها تختفي دون صرخة.

*****

أعادها الألم المفجع الذي تشعر به إلى نفسها، حاولت أن تتحرك لكن كل جسدها كان يبدو من الرصاص. إن الصرخة التي تشبه صرخة الحيوان جعلتها تتسمر في مكانها. بدا لها أن أحدا يناديها. فتحت فمها لتنطق بشيء ما، لكن المجهود كان كبيرا. اجتاحها الفتور وأحست بخمول ناعم.

كانت تحلم... كانت تحلم أنها مخطوفة من قبل قوة مجهولة ترفعها من على الأرض. وصل إلى مسامعها من بعيد كلمات غريبة.

استطاعت أخيرا رفع جفونها، لكنها اغمضتها في الحال. لا يجب مقاطعة هذا الحلم المدهش لأن احتضانها بين ذراعي "أليكس" لا يمكن أن يكون سوى حلم...

– يا عزيزتي، انظري إلي، أرجوك.

ماذا يعني هذا؟ إن الضباب الذي يحيط بها يتلاشى. كانت العينان الزرقاوان– اللتان تعرفهما من بين آلاف العيون– تسبحان في عينيها مما جعلها تستيقظ حقا.

همست بصوت غير مسموع تقريبا:

– "أليكس"، ماذا حدث لي؟

– إنك ارتكبت حماقة كبيرة، ولكن لنشكر الله على أنك نجحت في إخافتنا.

أحست أنها توضع بحرص على السرير. مال "أليكس" وأمها على وجهها الذي يتصبب من العرق.

سألت الأم:

– أين تشعرين بالألم؟

– أعتقد أن ذراعي مكسورة، إنها تؤلمني بشدة.

أغمضت السيدة "دي كايلر" عينيها وأطلقت تنهيدة عميقة.

– لا يمكنني أن أصدق أنك لا تزالين حية!

قال "أليكس" بقوة:

– لابد أن نستدعي طبيبا.

أجابت السيدة "دي كايلر" التي انسحبت على أطراف قدميها:

– سأتصل به.

ظل "أليكس" بمفرده مع "لورانس" وجثا على ركبتيه بالقرب من السرير. تأمل لفترة طويلة الوجه الصغير الذي ارتسمت عليه ابتسامة غامضة. همس وهو يداعب خدها برقة:

– قولي إنه كان يجب أن تداعبي الموت لكي ينقشع هذا الستار الذي كان يحجب عني ذاكرتي.

بدأ قلب "لورانس" ينبض بإيقاع سريع. لم تعد تشعر بألمها أو تعبها.

استطرد وهو يبتسم:

– أين كنا عندما عدنا إلى "مراكش"؟ يبدو لي أنه كان هناك شيء مهم أود قوله لك. بالمناسبة لابد أن نعوض كل هذا الوقت الضائع.

ارتسمت الجدية على وجهه وقال بشكل شبه رسمي:

– إنني أحبك يا "لورانس" كما لم أحب أية امرأة في حياتي. في هذه المرة لن أدع شيئا يبعدنا عن بعضنا.

ردت عليه قائلة:

– قبلني.

قبلها "أليكس" قبلة حارة ولم يسمعا الباب وهو ينفتح. كحت السيدة "دي كايلر" وهي تخشى أن تكون قد أزعجتهما. انفجر الحبيبان في الضحك حينما رآها تشعر بالخجل.

– لم أكن أريد...

اعترضت "لورانس" بصوت يكذب سعادة نظراتها:

WWW.REWITY.COM

– لا تعتذري يا أمي.

قالت الأم بسرعة:

– الطبيب سيصل بين لحظة وأخرى.

اعتدل "أليكس" وتوجه نحوها. أخذ نفسا عميقا وقال:

– يشرفني يا سيدتي أن أطلب يد ابنتك... على الأقل يدها السليمة!

نظرت السيدة "دي كايلر" إليهما بدهشة، ووجد الطبيبان صعوبة في الاحتفاظ بجديتهما. من الواضح أنها فوجئت بسرعة الأحداث.

قالت "لورانس" لأمها:

– لا ترفضي إذا كنت تعلمين كم سأكون سعيدة!

دهشت "لورانس" من شدة المشاعر التي انهارت عليها، ووضعت رأسها على الوسادة، وأغمضت جفونها. سمعت أمها تقول بصوت يرتعد قليلا:

– سأترككما يا عزيزي. "أليكس"، اعتن بها.

في اللحظة التي ظهر فيها قرص الشمس على البحر، وهو يعانق السماء، راحت "لورانس" في نوم هادئ أخيرا.

تمّت بعون الله

للمزيد من الروايات الحصرية زوروا موقعنا
www.rewity.com/vb

للمزيد من الروايات الحصرية زوروا موقعنا
www.rewity.com/vb

للمزيد من الروايات الحصرية زوروا موقعنا
www.rewity.com/vb